السنة التاسعة والأربعون والأربع مئة

فيها في المحرَّم استعفى ابن النسوي من ولاية الشرطة ببغداد؛ لاستيلاء العيَّارين واللصوص عليها، بحيث أُقيم تحت تاج الخليفة مَنْ يحفظ الزبازب والطيار الذي للخليفة من الحريق.

وفيه فُتحت واسط، وهرب ابن فَسانْجِس وابن يانس في ثالث عشره، وأُقيمت الدعوة للقائم، وفي العشر الآخر منه اشتدَّ الغلاء ببغداد، فبِيعت العقارات بالرُّغفان، وأُكِلت الميتات والكلاب والقطاط. قال غرس النعمة: لقد شاهدتُ امرأةً بنهر مُعلَّى ومعها فخذ كلب ميت قد اخضرَّ وجفَّ وهي [تنهشه و][1] تأكله. ورأيتُ امرأةً رمَتْ من سطح طائراً ميتاً، فاجتمع عليه خمس أنفُس واقتسموه وأكلوه.

وخرب البلد[2] والسواد جميعه خراباً دارساً، ونقضت الدور الشاطية وغيرها، وسُدَّت أبوابٌ كثيرةٌ مات أهلها [وخلا منها من كان بها] وكان الإنسان يمشي ببغداد في الجانبين فلا يرى إلا الواحد بعد الواحد.

وفي المُحرَّم مات [عيسى بن] خميس بن ثعلب صاحب تِكريت، وقَتلَتْ زوجتُه أميرةُ بنت غُريب أخاه أبا الغشَّام[3]، وكان معتقلاً في القلعة، فخافت منه أن يستولي عليها وعلى القلعة، وتسمَّت بعيسى، وقيل: إن عيسى أمرها بقتله، وأصعدت إلى الموصل، فنزلت على [نور الدولة] دُبَيس [بن مزيد] وكان [أبو المعالي] قريش قد خطبها وأرغبها، فمالت إلى عيسى [بن خميس هذا المتوفى وتزوَّجته]، ووقع بين عيسى وقريش لأجلها، وخطب البساسيري، ونزع طاعة قريش، فلما أصعدت إلى الموصل بعث إليها قريش فأطاعته.

[وقال ابن الصابىء: ووجدت في أتون بباب البصرة إنساناً بصيراً وآخر ضريراً كانا يُكديان[4] على القنطرة، قد شويا صبيةً صغيرةً في نار التنُّور وهما يأكلانها، وقد بقي

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(م١)، وما سيأتي في هذا الجزء من زيادات لم يُشر إليها فهو منهما.

(٢) تحرفت في (خ) إلى: الولد، والمثبت من باقي النسخ.

(٣) بعدها في (خ) و(ف) زيادة: عيسى.

(٤) يُكديان: يُلِحَّان في المسألة. المعجم الوسيط (كدي).

رأسها وأطرافها، فقتلوا الضرير ورموا به في بئر، ونكسوا البصير من باب القنطرة على رأسه إلى الصراة، وكان الضعفاء يعملون مثل ذلك، ولا يُعلم بهم].

وفيه قبض عميد العراق على صندل خادم الخليفة، فقامت عليه القيامة، وكتب إلى رئيس الرؤساء رقعةً طويلةً بخطِّه يقول فيها: قد عرفت ما كان الانقباض واقعاً منه عند النص على استخدام أحمد بن علي ـ يعني العميد ـ على الباب العزيز، فإن أسباب الكراهة لذلك كانت باديةً، ثم ظنَّ أنَّ ما سوَّفه به من اللفظ العالي السامي المعظَّم يوم الوداع كافٍ لملوك الأرض، فضلاً عنه، وذكر أفعال العميد وما عامل به أمراء الأطراف، وقال: ومن العناء رياضة الهَرِم[1]، فأطلق الخادمَ، واعتذر بأنه لم يعلم أنه من خدم الخاصة، وفي هذا الوقت أُسِرَ أبو الغنائم بن فسانْجِس، وسببه أن أبا الفضل الهَمَذاني عميد العراق خرج من بغداد في جماعة من الجند والعجم والعرب لاعتراض ابن فسانْجِس في إصعاده من واسط، فصادفوه يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، وهو في جمع كثير من الغلمان الواسطية والدَّيلم وبين خَفاجة ورجاله، وكان الهَمَذاني في نَوْشير[2]، فلما رآه العميد رمى بنفسه ومَنْ معه عليهم، فهزمهم وقتلهم، وأَخذَ ابنَ فسانْجِس أسيراً وأخاه وأهلَه، وكتب إلى بغداد على جناح طائر، فضُربت البشائر، وحُمل إلى بغداد يوم الأحد تاسع عشر صفر على [جمل][3] وعليه قميص أحمر، وطرطور أحمر بوَدَعٍ، وأُخِذَ من رَحْله دراهم عليها اسم صاحب مصر، فعُلِّق بعضُها في عصابة على جبينه، وطِيفَ به بغداد من الجانبين، وصعد الخليفة ورئيس الرؤساء إلى المنظرة بباب الحلبة حتى شاهداه، ووراءه الناس يضربونه، ويُنادى عليه: هذا جزاء من كفر النعمة، وأساء إلى من أحسن إليه. فلمَّا بلغ النجميَّ حُطَّ وقد نُصِبت له خشبة فصُلِبَ عليها، وشُدَّت رجلاه في رأسه، وقُطِعَ رأسُه، ورُميت جثَّتُه إلى الكلاب فأكلتها، وبعث العميد رأسه إلى السلطان مع المنجوق الذي له، وعليه اسم صاحب مصر، فأمر السلطان بأن يُعلَّق رأسُه على المنجوق ويُطاف به في العسكر.

---

(١) هذا عجز بيت لمثل شعريٍّ من الكامل صدرُه:

أتـروضُ عِـرسـكَ بـعـدمـا هَـرِمـت.

وهو في المستقصى من أمثال العرب ٢/ ٣٤٩، وجمهرة الأمثال ٢/ ٤٠، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٠١.

(٢) هكذا في النسخ، ولعلها: نَوْشَار: وهي قرية ببَلْخ. ينظر معجم البلدان ٥/ ٣١٠.

(٣) هذه الزيادة من (ف).

وفي صفر كُبِسَت دارُ أبي جعفر الطُّوسي فقيه الشيعة بالكَرْخ، وأُخِذَ ما كان فيها من الكتب وغيرها، وكرسيٌّ كان يجلس للكلام عليه، وسَناجق[١] بِيض كان الزوَّار من أهل الكَرْخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة المشهدين، فأحرق الجميع في سوق الكَرْخ، وكان ببغداد الزهيريُّ وابنُ اليدن، وكانا فاتِكَين، فجرى منهما في هذا اليوم على أهل الكَرْخ من السب والشتم شيءٌ عظيم، وقالا: أنتم أعداء الخليفة، ولم تستعملوا مع ابن فَسانْجِس قبيحاً في قول ولا فعل لمَّا شهروه في محالِّكم، وأطلق رئيس الرؤساء لسانَه في الشيعة، وتهدَّدهم بالقتل والصلب.

وفي ربيع الأول عقد السلطان جسراً على الزاب الأول وعبر إلى قلعة كُشاف[٢]، وكانت لمحلي بن درع، ففتحها وأخذ منها غلَّاتٍ كثيرة، وأصنافاً مختلفةً، وكان قد ضاقت به الميرة.

وفي مستهلِّ ربيع الآخر قصد الزُّهيري وابن اليدن وجماعةٌ من أهل باب البصرة والحربية ونهر طابق ودرب الشعير والقلَّائين مشهدَ موسى بن جعفر، ومعهم النوائح فيه بقصائد في حريق المشهد، وسنَّموا قبور المشهد، وفعلوا كلَّ قبيح، وانتقل العلويُّون منه، ولم يبقَ فيه إلا القليل، فمن القصائد: [من السريع]

يا مُوقِدَ النيرانِ[٣] بالمشهدِ ... بُورِكَ في كفَّيكَ من مُوْقِدِ
طهَّرتَ أرضاً كلُّ سُكَّانها ... ما بين زنديقٍ إلى مُلحدِ
لا حافظ للذِّكر فيهِمْ ولا ... مقدِّسٌ يركعُ في مسجدِ
من كلِّ بِدْعيٍّ له مذهبٌ ... متخذاً للرِّفضِ بالمسندِ
لا تابِعٌ للدين فيهمْ ولا ... معتقِدٌ للبعثِ من مرقدِ
بلى يظنُّون وويلٌ لهم ... أنَّ المنايا آخرُ المَوردِ
وأنَّهم مثلُ حشيشٍ ذوى ... بعد اخضرارٍ ليس بالعُوَّدِ

(١) في (خ) و(ف): مناجيق، وفي المنتظم ١٦/ ١٦ : مجانيق. والسناجق جمع سنجق، وهو: الراية.
(٢) كُشاف: موضع من زاب الموصل. معجم البلدان ٤/ ٤٦١ .
(٣) في (ف): الناس.

فهل بهذا أحدٌ راضياً ... كلَّا وربِّ الحجرِ الأسودِ
فلا سقاهم أبداً وابلاً ... من بارقٍ يلمعُ أو مُرْعِدِ
ولا رعى من عهدهم ذمةً ... في مولدٍ يولد أو والدِ

ومن أخرى: [من المجتث]

سَلْ دارساتِ الطُّلولِ ... كم بينها من قتيلِ
واربَعْ على عَرَصاتٍ ... بين النَّقَا والدَّخولِ
فسلِ القبابَ العوالي ... بالمشهدِ المخذولِ
وللعيونِ اللواتي ... تجري ببول[1] الوُعول
عن كلِّ زنديقِ كفرٍ ... عن كلِّ حقٍّ عَدولِ
يا مشهداً يشهد الكفْـ ... ـرَ في ليالي القَبولِ
تجولُ فيه البغايا ... على ذكورِ الفُحولِ
يُمازحون البلايا ... بسبِّ صَحْبِ الرسولِ
حبلُ الرَّوافضِ أهونُ ... بالرَّفضِ من شُرَحبيلِ

وفي ثامن ربيع الآخر عاد الزُّهيري وابن اليدن والجماعة المُقدَّم ذِكْرُهم إلى المشهد وسنَّموا ضريح موسى بن جعفر والجواد وجميع القبور، وصَعِد على ضريح الإمام رجلٌ وقال: يا موسى بن جعفر، إن كنت تُحِبُّ أبا بكر وعمر فرحمك الله، وإن كنت تبغضهما، وذكر اللعنة. وصَعِد آخرُ يُعرف بابن فهد، فركض عليه، فيقال: إنه انتفخت قدماه، وعالجهما الطبيب وبطَّهما، وأخذ الزُّهيري طاسة فضة كانت عند رأس الإمام يُطرح فيها الخَلوق، وقال: هذه يُثرد فيها، وأنت يا موسى ممَّن يدَّعي الروافض؛ أنك تسمع الكلام وتردُّ الجواب، وما قدرتَ على منعي مما فعلت، وصارت الجماعة في كل سبت يقصدون المكان ومعهم النوائح، فينوحون ويلعنون الشيعة، وكذا في جميع مشاهد الشيعة، وكانوا يدخلون الكَرْخ فينهبون ويقولون: أسلموا يا كفار. وفتح في المشهد بابٌ إلى الحربية، وجُعِلَ طريقاً للسابلة، وكلُّ هذا يتقدم رئيس الرؤساء، وجاء كتاب سيف الدولة إبراهيم ينَّال إلى أخيه السلطان يتعلَّل ويُسوِّف، فغاظ ذلك

(١) في (خ): ببوس! والمثبت من (ف).

السلطان، وكان ينَّال مقيماً بطُوس، ووصل داود ابن أخي السلطان بِنيَّة غزاة الروم، وكان معه خلقٌ كثير، فتعوَّض به عن إبراهيم يَنَّال، وسار السلطان إلى الموصل، واندفع البساسيري عنها مقدار عشرة فراسخ، ونزل السلطان تل بُوَيه، وهرب أهلُ الموصل، وعبر السلطان إليها يوم الثلاثاء رابع الشهر، فنزل دار الإمارة، ونزل أصحابه دور الناس، وكانت قد خَلَتْ منهم، وكتب السلطان إلى الخليفة يخبره بنزوله الموصل، وسار منها، فنزل الدَّكَّة، والبساسيري ومَنْ معه بِنَوْشَرى[1] وبينهم عشرة فراسخ، وأقطع السلطان الموصل لهزارسب، وطالبه العسكر بنهبها، فقال: هذا بلد قد أقطعناه لهزارسب وقد خَدَمنا، ونحن محتاجون إلى الإقامات والعلوفات. فقالوا: إمَّا تأذن لنا في نهبه، وإلَّا انصرفنا. وسأله هزارسب في حريم المسلمين وأموالهم، فقال: قد دافعتُ عنهم وما أطقتُ، ولا بدَّ لهم من إقامات أو عطاء، وما معي مال، فنمضي الليلة ونُخرِجُ مَنْ في البلد إلى معسكرك ليحرزوا نفوسهم، فأرسل إلى أهل البلد، وأخبرهم، فارتاعوا، وخرج مَنْ قَدَر منهم، وأصبح العسكر فدخلوا البلد، فما أمسى إلا وهو خراب دارس، وحمي لهزارسب النساءُ والرجالُ، وفرَّق فيهم مالاً، وأعادهم إلى البلد.

ذكر ما جرى بين عسكر السلطان والعرب:

لمَّا طالت المدة في المقام ضجر كلُّ واحد من الفريقين، فقال هزارسب للسلطان وكان عنده في المنزلة العالية يستشيره في أمور المصلحة: أسير وأُشرف على حلل العرب، فإما أن نُنتج صلحاً، أو نُثير حرباً، فقد طال المُقام، وإني أجود معي ألفَ غلام [ممن أختار. فقال له السلطان: ألف غلام][2] لا يكفونك، فخذ ثلاثة آلاف. فقال: في ألف كفاية، وفي الزيادة عليهم تعب. وإنما أسري جريدةً[3]. فقال: افعَلْ. وسار وأقام الكمناء، فوافق العربَ راحلين إلى بَرْقعيد، فلما رأوا طلائعه لم يشكُّوا أنه السلطان بنفسه، فانهزموا، وتبعهم أسراً وقتلاً، وأُخذ محمد بن منصور أسيراً، وعاد

(١) هكذا في النسخ، ولعلها: نَوْشَهر: وهي اسم لنيسابور ونواحيها بخراسان. ينظر معجم البلدان ٥/ ٣١١.

(٢) هذه الزيادة من (ف).

(٣) الجريدة: الخيل التي لا رجَّالة فيها. المعجم الوسيط (جرد).

فجلس السلطان على كرسي، وأحضر منهم جماعةً وأرماهم تحت أرجل الفِيَلة، وفيهم غلامٌ أمردُ وضيء الوجه، فامتنع الفيل من قتله، فعفا عنه السلطان.

ولمَّا جرَتْ هذه الواقعة جاءت رسلُ قريش ودُبيس إلى السلطان يسألان[١] العفو والصفح ويدخلان في الطاعة، ويقولان: إنَّ البساسيري حُكْمُه حُكْمُنا، ويدخل فيما دخلنا فيه، ويؤدي في كل سنة ما جرَتْ به العادة، ويخطب للدولة العباسية، ويعود إلى ما كُنَّا عليه. فقال السلطان: إننا لكما مؤثرون، وبما جرى منكما مسامحون، ويجب أن تُنفِذا مَنْ تَثِقا به ليتوثَّق منا، ويسمع لفظنا لتسكن نفوسكما إلينا، وتطآ بساطنا، ونُفيض الإنعام عليكما، وأما البساسيري فالعفو فيه راجع إلى أمير المؤمنين، فإن عفا عَفونا وسلَّمنا إليه من الأعمال ما يختار، فقد بلَغَنا من شهامته ما يقتضي الاهتمام بمراعاته. وانصرف الرسلُ ثم عادوا بالشكر، وسألوا إبعادَ ابن وَرَّام ليقرر ذلك، وذكروا أن البساسيري لمَّا عرف ذلك رحل إلى الرَّحبة ومعه الغلمان البغدادية ومَنْ تَبِعه من بني شيبان والأكراد ومقتبل وجماعة، ومضى خائفاً وقد ثَقُل عليه حديث الصلح.

وفي رواية: أن سبب هذه الرسالة من السلطان أنَّ محمد بن منصور لمَّا أُسِر قال لهزارسب: قد أنعم عليَّ السلطان ببقاء نفسي، وأنا واللهِ أُشير عليه بما أنصحه فيه، وأجلب به الخير لبني عمي وعشيرتي والناس أجمعين، وقد خربت بلاد العراق، وضاعت الأموال، وهلكت الدنيا التي يقع عليها القتال، والمصلحة أن تأمرني أن أدخل بينه وبين العرب، وأرُدَّ الجميع إلى طاعته وخدمته، وتُقرِّرَ ما في أيديهم على ما كانوا عليه مع[٢] ملوك العرب، فلو أمنوا ثغرة هذا الجيش ما عصوا، وتحقِنَ هذه الدماء، وتكون أنت الواسطة، فعرف هزارسب السلطان، فقال: مصلحة، أُطلقه وأبعثه رسولاً إليهم. فقال محمد: بل أبقى ها هنا وأُراسلهم. فبعث إليهم بعضَ العرب، وبيَّن لهم وجه الصواب، فأجابوا، ولمَّا عرف البساسيري رحل عن الحلل مغاضباً لقريش ودُبيس، فنزل على فرسخ منهم، فركبا إليه وعاياه وقالا: قد خرِبَتْ بلادُنا،

(١) هكذا في (خ) ـ وهي النسخة الوحيدة لذكر هذ الخبر ـ بالتثنية، وكذلك في الكلام الآتي، والصواب أن يكون بضمير الجمع كما سيأتي في آخر الخبر.

(٢) في (ف): من.

وقُتِلَ رجالُنا، وسُبي حريمُنا بسببك، والحرب سِجال، وما ندري ما يكون، وهذا السلطان معه أممٌ لا طاقةَ لنا بهم، وما راسلناه حتى اقترحنا عليه أن تكون البصرة لك، وحكمك حكمنا في صلحنا، وإلا فقد خربت ديارنا. فقال: لستُ لما يُبذل لكم متحققاً، وما غرضُه إلَّا تبديدُ جمعنا، وإنهاءُ حيلةٍ علينا، وسخريةٌ بنا، وبعد فأنا صاحب سلطانٍ بعيدٍ عني، ولستُ مالكاً لأمري، ولا بُدَّ من مطالعته، واستدعاء إذنه فيما أفعل. وأغلظَ لهم فانصرفوا، وعاد رسولُهم ابنُ وَرَّام وقرَّر ما أرادوه، فأفرج السلطان عن محمد بن منصور والجماعة المأسورين، واستقرَّ الأمر على مسير هزارسب إليهم؛ لاستخلافهم وإحضارهم إلى الخدمة، وقال: أنا رهينةٌ عندكم، فإن رأيتم ما تُحِبُّون وإلا فنفسي لأولادكم وأهليكم. فقالوا: نحن له طائعون، وإذا ردَّ علينا بلادَنا وانحدر إلى العراق نطأ بساطه بين يدي العتبة الشريفة، ويكون الخليفة هو المتوثق لنا منه. فقال هزارسب: إذا كنتم لهذا الأمر كارهين، فأنا أضمن عنه الإجابة إلى ما سألتم. فانتدبوا سبعين فارساً من أعيانهم ووجوه القبائل، وساروا مع هزارسب وابن وَرَّام، فركب عميد الملك لاستقبالهم، وأنزلهم هزارسب في خيمته، وبعث لهم السلطان خيمةً كبيرةً ينزلونها إكراماً لهم وتشريفاً، وجاء غلمانٌ من الترك في الليل، فضربوا خيل العرب بالنُّشَّاب، فقتلوا منها أربعةَ أفراس لها قيمة، وبلغ السلطان فأنكر ذلك، واعتقل الغلمان، وحضر القوم من الغد عند السلطان، فأكرمهم، واعتذروا إليه، فقَبِلَ عذرهم، وخاطبهم بالجميل والصفح، وأنه مُؤثِرٌ لخدمتهم، مختارٌ لقُربهم، وتوثَّق منهم، وطابت قلوبُهم، وتقدَّم بكَتْبِ أعمالهم لهم، وزاد في إقطاعهم، وخلع على أبي الفتح بن وَرَّام وأعيان القوم، وعادوا طائعين.

ولمَّا رأى العسكرُ الصلحَ قد تمَّ سألوا السلطان نَهْبَ بلاد ابن مروان، وقالوا: قد خرج عن الطاعة. وساعد البساسيري، فأذن لهم، فشفعت الجماعة الذين حضروا فيه وقالوا: قد أخطأ مثل ما أخطأنا، وقد وقع العفو عنا، فكذا هو. فقال السلطان: لا أدري هل هو مقيم على طغيانه أو رجع إلى الطاعة؟ فقالوا: نحن نسير إليه وننظر ما يكون منه. ثم ساروا نِصفَ جمادى الآخرة، وسار السلطان ثامن عشره، فنزل على ظاهر بَلَد[1]، واتفق أن أبا الفضل

(١) بَلَد: مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ . معجم البلدان ١/ ٤٨١ .

ناصر ابن إسماعيل العلوي كان قد نفذه السلطانُ ـ لمَّا قدم بغداد ـ إلى ملك الروم في المهادنة، فجعل طريقه في رجوعه على ابن مروان، ومعه رسول ملك الروم بهدايا كثيرة، فلما اجتمع بهما ابنُ مروان أنزلهما وأكرمهما، وقال: أَقيما عندي، فإن الطريق مَخوفٌ، والعرب قد انتشرت في الجزيرة، وأخاف عليكما. فأقاما، وبعث إليه البساسيري وقريش ودُبَيس يطلبون النجدة، فأنجدهم، ووقع للعلويِّ إنما احتبسهما انتظاراً لما يكون من السلطان مع العرب، فإن كانت لهم عليه أخذ ما معهما وفاز به، فكتب العلويُّ إلى السلطان يُعرِّفه ذلك، فوقر في صدر السلطان، ولمَّا وقع الصلح، وتفرَّق العرب، وانفصل البساسيري عنهم، أرسل ابنُ مروان خادماً إلى خاتون زوجة السلطان، واستجار بها، وأهدى إليها هديةً، وقال: إنما فعلتُ ما فعلتُ خوفاً على بلادي، وأمَّا احتباس الرسولين فإنما كان شفقةً عليهما، وأنا شيخٌ قد نيَّفْتُ على السبعين، وما قصدي إلا حفظ هذه الثغور من النهب والخراب. فأعادت خاتون على السلطان ما قال، وسألَتْه فيه، فقال: قد تيقَّنتُ احتباسه للرسولين طمعاً فيما كان معهما ومعاونته لأعدائنا، وتربُّصه الدوائر بنا، وهذا ذنبٌ لا يُغفر، وكان الأمير قوني بن داود ـ نسيب السلطان ـ أغار على بلاده وسبى، ولمَّا كان رسول الروم بميَّافارقين كتب إلى خاتون كتاباً عنوانه: عبدُ مولاتنا الملكة الجليلة والخاتون الكريمة البطريقُ غلامُ الملكِ القدِّيسِ المنفردِ بممالك الروم، وذكر فيه أن الأمير قوني بن داود قد شنَّ الغارات، ونهب أعمال الملكية، وأتى عليها بالكلية، ولولا تعويل الملك القِدِّيس صاحبي على ما بينه وبين الحضرة السلطانية من العهود والمواثيق لكانت عساكره قد خرجت إلى الأطراف، وأمرهم بالانصراف عنها، وذكر كلاماً طويلاً.

وأما العرب فتفرقوا في البلاد[1]، وسار بعضهم إلى البساسيري، وبعضهم إلى الجزيرة[2].

وفي جمادى الآخرة ورد كتابٌ من بخارى [من وراء النهر] أنه وقع عندهم وباءٌ لم يُعهَدُ مثلُه ولا سُمِعَ به، حتى إنه خرج من هذا الإقليم في يوم واحد ثماني عشرة آلاف جنازة، وحُصِر من مات منه، فكانوا ألف ألف وست مئة وخمسين ألفاً إلى تاريخ الكتاب، ومن بقي من الناس يمرُّون في هذه البلاد فلا يرَون إلا أسواقاً خاليةً، وأبواباً

(١) في (خ): البادية، والمثبت من (ف).

(٢) بعدها في (م) و(م١) زيادة: وفي ربيع الأول توفي أبو العلاء المعري. قال ابن الصابىء.

مغلقة، وتعدَّى الوباءُ إلى أذربيجان، ثم إلى الأهواز والبصرة وواسط وتلك الأعمال، حتى كانت تُحفر زُبية[١] فيُلقى فيها عشرون وثلاثون من الناس، وسببه قلة القوت والجوع، ومن مات قريباً من دجلة سحبوه برجله وألقوه فيها، وكان الضعفاء ينبِشون الموتى ويشوونهم ويأكلونهم [وكذا الكلاب كانت تنبِش الموتى وتأكلهم] وكان لرجل أرض يسأل في بيعها بعشرة دنانير فلم يفعل، فباعها بخمسة أرطال خبز، فأكلها ومات من وقته. ووصل إلى بغداد نسخة كتابٍ كُتِبَ من سمرقند إلى بلخ مضمونه أنه يُدفن في كلِّ يوم من صالحي المسلمين خمسة آلاف وستة آلاف وأكثر، وغُلِّقت الأسواق، واشتغل الناس ليلاً ونهاراً بدفن موتاهم وغسلهم وتكفينهم، وكلُّ دار يدخلها الموت يأتي على الجميع، وكان المريض ينشقُّ قلبه عن دم المُهجة، فتخرج من فمه قطرة فيموت، أو دودةٌ لا يدري ما هي فيموت.

وغُلِّق من البلد من دور المُقدَّمين وأعيانهم أكثرُ من ألفي دار، ولم يبقَ فيها كبير ولا صغير ولا [حرٌّ ولا عبدٌ ولا] وارث، وتاب الناس [كلهم]، وتصدَّقوا بمعظم أموالهم، وأراقوا الخمور، وكسروا المعازف، ولزموا المساجد وقراءة القرآن، والنساءُ في البيوت يفعلن كذلك، وكلُّ دار فيها خمر يموت أهلها في ليلة واحدة، ومن كانت معه امرأة حرام ماتا معاً، ومات قيِّمُ مسجد وله خمسون ألف درهم، فلم يقبَلْها أحد، ووُضعت في المسجد تسعةَ أيام بحالها، فدخلت أربعة أنفُس من الخُلْجِ[٢] ليلاً، فأخذوها فماتوا عليها.

وكلُّ من أوصى إلى إنسان مات الموصى [له] قبل الموصي، وكلُّ مسلِمَين كان بينهما هجران فلم يصطلحا ماتا، وكان عند الفقيه عبد الجبار بن أحمد سبع مئة فقيه، فمات عبد الجبار والفقهاء بأسرهم، وكان في دار رجل من الأغنياء من الأولاد والأهل والغلمان ما يوفي على الخمسين، فماتوا كلُّهم في ثلاثة أيام، وخلفوا أكثر من ألفي ألف دينار، ولم يبقَ منهم إلا طفل صغير ابنُ خمس سنين، والمال جميعه في الدار لا يجسر أحدٌ أن يدخلها، ونزل تركيٌّ على مريض من السطح وعليه لحاف ديباج، فأخذه التركي، فمات ويده في طرف اللحاف، وباقيه على صاحبه.

---

(١) الزُّبية: الحفرة التي تُحفر لصيد السباع. اللسان (زبي).

(٢) الخُلْج: المُتعَبون والمرتعدو الأبدان. اللسان (خلج).

قال: ودخلنا على مريض قد طال نزعه سبعةَ أيام، فأشار بإصبعه إلى بيت في الدار، فدخلناه وفتَّشناه وإذا بخابية خمر، فأقلبناها، فخلَّصه الله تعالى من الموت. [قال: ولم يكن مثل هذه الواقعة منذ مات آدم وإلى الآن] ولا يعلم من مات في أرض المشرق، بل قيل: إن سمرقند من غُرَّة شوال وإلى سلخ ذي القعدة أُحصي مَنْ خَرَجَ من أبوابها من الجنائز، فكانوا مئتي ألف وستة وثلاثين ألفاً.

قال: وأصل هذا الوباء من تركستان بلاد الكفار، ثم خرج منها إلى بلاد ساغون وكاشغر والشاش وفَرغانة وتلك النواحي، ووصل إلى سمرقند في سابع عشرين رمضان في هذه السنة، ولم يعبر النهر، حتى إن جماعة من أهل بخارى عبروا إلى بَلْخ، فنزلوا في رباط منها، فماتوا بأجمعهم دون أهل بَلْخ، وكان الموت في الشباب والكهول والصبيان والنساء من العوام، فأما الملوك والعساكر والمشايخ والعجائز فلم يَمُتْ منهم إلا القليل، ثم انفجرت فوهة بما وراء النهر من مكان تجتمع فيه المياه من الأمطار والثلوج، فغرقت الجبال والقلاع والبلاد والضياع وعامة الناس، فلم يبقَ إلا القليل.

ورَدَّ عميد الملك على دُبيس ضياعَه فوجدها خراباً لا أكَّار[1] فيها ولا حيوان، فبعث رسولاً إلى بعض النواحي ليجمع له الرجال، فلقيه جماعةٌ فقتلوه وأكلوه.

ووقع حريقٌ ببغداد لم يُعهَدْ مثلُه قبلَه[2].

قال ابن الصابىء: عبرتُ إلى الجانب الغربي يوم الأربعاء لسبعٍ بَقِينَ من جمادى الآخرة وقد احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكنيس وأصحاب السقط وباب الشعير و[سوق] العطارين وسوق العروس وغير ذلك، فرأيت أمراً موحشاً يدلُّ على خراب البلد وانقراضه، ورأيت المساكن قد علاها التراب وعليها دلائل السخط والانتقام[3].

ولم تقع عيني على من عليه ثوب صحيح ولا نظيف، ورأيت في قطيعة عيسى خمسةَ أنفُس، وبطلت الصلاة في جوامع بغداد إلا جامع الخليفة ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[القصص: ٥٨].

---

(١) الأكَّار: الحرَّاث. المعجم الوسيط (أكر).

(٢) العبارة في (ف) و(م) و(م١): لم يحترق قبله مثله.

(٣) بعدها في (م) و(م١) زيادة: والإدبار. وما بين حاصرتين من المنتظم ١٦/ ١٨ ، والبداية والنهاية ١٢/ ٧١ .

[وفي هذا الشهر لمَّا سار طُغْرُلْبَك إلى مرج باغيدا من بَلَد، وقرُب من حلل العرب، أجفلوا منه إلى العين الباردة، وظفِرَ قوم من العسكر بأعقاب رحالهم فنهبوها، وكتب قريش وابنُ مزيد إلى هزارسب: أنت كنت الواسطة بيننا وبين السلطان، وضمنتَ لنا انصرافه عن جزيرتنا، وقد نهبَنا قوم من أصحابه. وبلغنا أن إبراهيم ينَّال ورد هَمَذان سائراً نحونا، فعرض الكتاب على عميد الملك، فقال: ما نحن إلا على ما بذلناه، ولا كان مسيرنا لقُبح رأي تجدَّد لنا، وإنما قصدنا بلاد ابن مروان، وما أقدر أن أقول للسلطان: ارجِعْ عن بلادك، ولكن إذا تنجَّز أمر ابن مروان سألته أن يخفف الوطأة عن هذه الديار ـ واتَّفق أن ابن مروان سرَّح الرسولين ومعهما هدية فيها خمس مئة ثوب ديباج، وخيل، وغيرها ـ وسأل هزارسب للسلطان فيه شفاعة، ولا قبِلَ له هدية، وردَّها، وفي هذا الوقت أُخذ جاسوس في بغداد وعُوقب، فأقرَّ أنه من الرَّحبة، وأن البساسيري على عزم قصد بغداد، فانزعج الناس، وجمع عميد العراق أصحابه من البلد إلى دار المملكة، وأصعد إلى سورها الحجارة والنفط، وعمل الدَّبَّابات والعرادات والمجانيق، ووقع التشاغل بالتحصين، فصارت الدارُ مثل القلعة، فبينا هم على هذا ورد كتاب من عسكر السلطان يقول: وصل سيف الدولة إبراهيم ينَّال من همَذان في عشرين ألف رجل، فخرج الناس للقائه، ولم يتخلَّف إلا السلطان، ولمَّا وقعت عينه على عميد الملك قال له بالتركية: صالحت بين العرب والسلطان وجعلتهم أهلاً لذلك، وإنما يكون الصلح بين النُّظراء، ومَنْ هؤلاء الكلاب حتى لا يُقلَعَ أصلُهم؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما اقتضته الحال، فإن جموعهم كانت كثيرة، وكان الصلح الذي التمسوه سبباً لتشتُّتهم، فبلغت منهم من غير أن يُسفك دمٌ، والآن فأتِ نائب السلطان ونحن تبعٌ لك، فافعل ما تراه. وقال له: انزِلْ في خيمتك اليوم، وأرِحْ واسترِحْ، وغداً تُجمع بالسلطان. فنزل، وقُدِّمت إليه الهدايا وهو يفرِّقها في الغُزِّ الذين على رأسه، إلا عقد جوهر قدَّمه عميد الملك، فتركه في قَبائه، ولمَّا كان من الغد دخل على السلطان، فقام له، ومشى إليه، وقبَّل إبراهيم يده، فأكبَّ السلطان على رقبته فقبَّلها، وتحادثا ساعة، وعاد إلى خيمته، وأجفلت العرب من العين الباردة] [1].

(١) هذه الزيادة من (ف).

وفيها دخل الأمير أبو منصور بن الملك أبي كاليجار على الوزير هبة الله بن أحمد النسوي إلى داره بشيراز ومعه الديلم، فقتله في دَسْته، وقتل أصحابه، ونهب ماله وأسبابه، وكان هذا الوزير جلداً شهماً، واسع الصدر، عزوف النفس، وهو كان السبب في تملُّك هذا القاتل شيراز وردِّه إليها بعد خروجه منها دفعات، وتكفَّل به وبأخيه أبي سعد تكفلاً أخلص ونصح فيه، ولم يعرف سبب قتله.

وسار السلطان إلى الجزيرة وحاصرها، فلاذَ أهلُها بالعفو، وقرَّروا على نفوسهم مالاً، فقُبِلَ منهم، وتقدَّم بعضُ العساكر إلى ميَّافارقين وقد خرج ابن مروان منها إلى آمِد، فنهبوها ودخلوها، وقتلوا وسبَوا، وبعث ابن مروان إلى إبراهيم ينَّال، واستجار به، فوعده أن يشفع فيه إلى السلطان.

و[في هذه السنة] صَعِد عشرون غلاماً[1] من الغُزِّ إلى دير النصارى في بلد ميَّافارقين فيها أربع مئة راهب، فذبحوا منهم مئة وعشرين، واشترى الباقون نفوسَهم بستِّ مكاكيك ذهباً وفضة.

وفي شعبان نادى عميد الملك: لا يبقى غداً أحدٌ إلا ويحضر إلى دار المملكة، فلم يتخلَّف أحد، وشرعوا في تتمة السور الجديد، وعمل فيه القضاة والشهود والطالبيون والعباسيون والتجار وغيرهم، [وكان القضاة يعملون والطيالس عليهم ينقلون فيها الآجرَّ والتراب].

وفي شعبان ورد دُبيس إلى هِيت قاصداً بلاده، متسلماً لها، وعاد قريش إلى الرَّحبة يريد البساسيري، وكان قد قال لدُبيس: أنت تنحدر إلى بلادك، وقد خَلَتْ من العساكر، فيمكنك المُقام بها وعمارتها، وأما أنا فبلادي خراب، والسلطان فيها، وما أرى من نِيَّتِهِ ما تطيب به نفسي، وأنا قاصد الرَّحبة، وأدبِّر أمري مع أبي الحارث.

وفي هذا الوقت نظر عميد الدولة[2] في المارستان العضُدي، وكان قد خلا من دواء وطبيب وشراب، وكان المرضى على وجه الأرض، وعند رأس المريض بصلة يشمُّها، وعطش أحدهم فقام بنفسه إلى جُبِّ الماء فوجده حمأة ودوداً، وكان أبو الحسين بن

(١) في (م) و(م١): رجلاً.

(٢) في (م) و(م١): عميد الملك.

المهتدي [ويُعرف بابن الغريق] قد ردَّ أمره إلى يهودي [يُعرف بالهاردين]، فاستولى عليه، وأكل أوقافه، وبلغ عميد الملك، فصرف العنايةَ إليه، فأول ما فعل انتزع أوقافه من أيدي الطامعين فيها والمتغلبين عليها، وضمنها بما وفر به ارتفاعها توفيراً لم يعهد مثله.

وشرع في العمارة، فقال: إنه طبق المارستان بخمسة آلاف طابق. وقيل: بعشرة آلاف، وكان على بابه سوق فيه مئة دكان قد دثرت، فأعادها وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعزُّ وجودها شيئاً كثيراً.

وأقام الفُرش واللُّحف للمرضى، والأرانيج الطيبة، والأشربة والثلج، والمستخدمين والأطباء والفراشين، فكان فيه ثمانية وعشرون طبيباً، ونساء طبَّاخات، وبَوَّابون، وحُرَّاس، والحمام والبستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار والبقول، والسفن على بابه تنقل الضعفاء والفقراء، والأطباء يتناوبونهم بكرةً وعشياً، وينامون عندهم بالنوبة.

وكان فيه عدة جباب فيها السكر الطَّبَرزَذ والأُبلوج واللوز والمشمش والخشخاش وسائر الحبوب، والبراني الصيني، وفيها العقاقير، وأربع قواصر فيها الإهليلج الأصفر والكابلي والهندي، وأربع قواصر تمر هندي وزنجبيلٌ وعودٌ ونَدٌّ[1] ومسكٌ وعنبر، والراوند الصيني في البراني، والترياق [و] الفاروق وجميع العقاقير، وصناديق فيها ثياب جُدُد للمرضى، ومناديل، وصناديق فيها أكفان، وقدور صغار وكبار، وآلات، وأربعة وعشرون فراشاً، و[ذكر ابن الصابىء] أشياء ما توجد في دور الخلفاء والملوك، وكذا فعل في مارستان باب محول، [وقد دُثِر، فلا عين ولا أثر، أما المارستان العضدي فقائم، ولكن على هذا الوجه فلا].

وخُتِن فيه في هذه السنة ثلاث مئة وأحد وثمانون صبياً، وكان راتب المقيمين فيه من المستخدمين في كل يوم ألفاً وثمان مئة وسبعين رطلاً من الخبز، [ولعلَّ ما فيه اليوم عشرون رطلاً، وكان المتولي لهذه الأشياء الشيخ الأجلُّ ابنُ يوسف].

وفي هذا الوقت أصعد البساسيري من الرحبة إلى بالِس وهي بلد عطية بن الزَّوقلية صاحب حلب، وأخذ الرقَّةَ ـ من أصحاب ثِمال بن صالح بن الزَّوقلية ـ أميرُ حلب، وردَّها

(١) النَّدُّ: ضرب من النبات يتبخَّر به. المعجم الوسيط (ندد).

على منيع بن وثَّاب صاحب حَرَّان، وفي هذا الوقت صالحَ ابنُ مروان السلطانَ بعد جهد ومشقة على مئة ألف دينار، وسار إلى سنجار، فصعد أهلها على الأسوار وشتموه، وقالوا: قد غزونا أول في قُتُلْمِش لمَّا هزمه البساسيري، واليوم يغزو فيكم، وأخرجوا قلانِسَ الغُزِّ وجماجِمَهم ومَنْ قتلوه عام أول على القصب، وعرَّف قُتُلْمِش السلطانَ ما فعلوا به لمَّا انهزم، فزاد ذلك في حَنَقه، وكان أميرها مجلي بن جرجي، ففتحها السلطانُ عنوةً، وسبى نساءَها وأطفالها، ونهب أموالَها، وأحرق جامعَها، ونُقِضت أخشابُها، ودَرَسَتْ آثارُها ـ على[1] أن القتل أتى على أربعة آلاف نفس وأكثر ـ وخاف المنزل، فارتحل السلطان نحو فرسخ، ثم عاد إلى تل أعفر، وعزم على أن يُلحِقَها بسنجار، فراسلوا إبراهيم [ينَّال][2] فسفر لهم عند أخيه، فقال: أمَّنتُهم على أنهم لا يقيمون بالبلد، فأجابوه، فأوقف العسكر صفَّين، وقال: من تعرَّضَ لأحد قتلتُه. فخرج الناس بأموالهم وذخائرهم ونسائهم وأولادهم، وجاء إلى السلطان رجلٌ فقال: لي ذخيرة في بيتي قدرها ثلاثة آلاف دينار، فابعَثْ معي من يستخرجها. فبعث معه، وعاد الرجل بالدنانير إلى السلطان، فقال له إبراهيم يَنَّال: هذا المال لي. فقال: هذا لصاحبه خُذْه والحَقْ بأهلك.

ورتب أبا علي الخازن بتل أعفر، وعاد إلى الموصل، وطالبه أخوه إبراهيم بإقطاع يُصْرَف وارتفاعه في إقامته، فقال: ما أُعطيك إلا ما تفتحه أنت، وإذا سِرْتَ إلى الرحبة فهي لك. فثَقُل عليه، وسرَّح جماعةً ممَّن كان معه إلى خراسان؛ لعدم الأقوات، وتجدَّد للسلطان رأيٌ في العود إلى بغداد، فسلَّم إلى إبراهيم ينَّال الموصل وأعمالَها، وخلع عليه، وأعطاه عشرين ألف دينار، وانحدر السلطان إلى بغداد، فنصب إبراهيم خشباً في العسكر، وقال: من تعرَّض لنهبٍ قتلتُه. فقامت الهيبة، ورجع الناس إلى أوطانهم، وعدل بهم فأحبُّوه.

وجاءه رجل فقال: أنا أحمل إلى الخزانة كلَّ يومٍ مئةَ دينار من ضرائب البلد، فأحضر القاضي وأعيان البلد وقال: هذا من بلدكم، وقد قال كذا وكذا، فهل أنتم راضون بفعله؟ فقالوا: إذا أعفيتَنا من العجم رضينا. فقال: إن الله قد وهب لكم ذاك،

(١) في (ف): قيل.

(٢) هذه الزيادة من (ف).

وقد اقتصرنا منكم على الخراجات عند إدراك الغلَّات. فدَعَوا له وشكروه، ونادى بذلك في البلد، وأظهر من حُسن السيرة ما سكنت إليه النفوس.

وفي [يوم السبت] سادس شوال وهو سادس كانون الأول طار بعُكْبَرا جراد أسود [يسمى الكيلون وكان كثيراً] جاء من المشرق، وعبر الفرات [ولم يُسمع جراد طار في كانون إلا هذا] وعاش أهل العراق به، فإنهم كانوا يأكلونه نيئاً ومطبوخاً.

ونزل السلطان على باب تِكريت سادس عشر شوال، وسبق العسكر إلى بغداد، فنزلوا دور الناس، وأقام السلطان بقلعة تكريت إنساناً يقال له: النسائي، وتسلَّم الحصن الذي بكرخ سامراء.

وفي نصف الشهر قدم بغدادَ بدرانُ بن دُبيس وأبو الفتح بن وَرَّام، فتلقَّاهما عميد العراق، وحمل إليهما الإقامة، واستدعاهما من الغد رئيسُ الرؤساء، وعَتَبَ على ابن وَرَّام بميله إلى البساسيري، فقال: أنتم أحوجتمونا إلى ذلك، فإن السلطان لمَّا ورد هذه البلاد أبعدتُم الناس كلَّهم بنهب عساكره الأموال والأولاد والأهل، فلم يبقَ لنا مكانٌ نأويه، فأصعدنا خوفاً على جوعنا وأموالنا. فخاطبه بالجميل، ووعده عن الخليفة بكل خير، ووصل السلطان إلى القُفْص[١] لستٍّ بقِينَ من الشهر، وخرج رئيس الرؤساء لاستقباله ومعه بدران وابن وَرَّام والخدمُ الخاصُّ، وبين يديه الأعيان والأمراء والجنائب والعَمَارية، وعلى رأسه مِطْرَد[٢]، وأصحبه الخليفةُ للسلطان فَرَجية ديباج مشجَّرة بالذهب، وعمامة قصب مُذهبة، وفرساً أدهم بمركب ذهب، وتلقَّاه عميد الملك، ودخلوا إلى السلطان وهو جالس في خَرْكاة[٣] على سرير وعليه قَباءٌ أسود وقَلنسوة سمُّور، فلمَّا قَرُبَ منه جثا السلطان على ركبتيه، وتطاول له، وعانقه بيديه، ثم طرح كرسياً من ذهب مُرصَّعاً بالجواهر، فجلس عليه، ثم قام وأدَّى رسالة الخليفة، وهي تشتمل على الأُنس بقُربه، والسرورِ بسلامته، والإحماد لسعيه، فأومأ إلى تقبيل الأرض [وقال: أنا خادم هذه الدار العزيزة، ومتشرِّفٌ بخدمتها، ومبتهجٌ بقربي منها.

(١) القُفْص: قرية مشهورة بين بغداد وعُكْبَرا. معجم البلدان ٤/ ٣٨٢ .

(٢) المِطْرَد: الراية والعلم. تكملة المعاجم ٧/ ٣٧ .

(٣) الخَرْكاة: الخيمة الكبيرة، وقد تقدمت مراراً.

ولبس الفَرَجية، ووضع العمامة على المخدَّة، وأحضر الفرس، وأوى إلى تقبيل الأرض] وقال: قد تتابع الإنعام عليَّ من غير استحقاق، فقال له رئيس الرؤساء: موضِعُك من أمير المؤمنين الكبير، ومَحلُّك الخطير، وأنت النائب عنه في رعيته، وقد حصل ـ بحمد الله ـ من الثقة ما لم يبقَ معه احتشام، وسيتواصل إنعام أمير المؤمنين على ما يوجبه حُسنُ رأيه، وجميلُ اعتقاده، فقال: قد زاد شوقي إلى مشاهدة تلك الطلعة الكريمة، وكثُر ارتياحي إلى رؤية تلك الغرة الشريفة. فقال: لن يتأخر ذلك. ثم التفت السلطان إلى ابن وَرَّام وبدران وقال: كيف نور الدولة؟ فقاما وخدما، وذكر قريشاً فقال: ذاك الغدَّار الكذَّاب الخوَّان. فشكر رئيس الرؤساء دبيساً وقال: ما فعل الذي فعل مع البساسيري الملعون إلا رعايةً لنزوله عليه، وانضوائه إليه، وإلا فنور الدولة الموثوق بعهده المرغوب في مثله.

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة وصل السلطان إلى الخليفة، وكانت الرسائل منه قد تكرَّرت بطلب الاجتماع، وكان جلوس الخليفة جلوساً عاماً مشهوداً، جلس رئيس الرؤساء في صحن السلام، واستدعى النقباءَ والقضاةَ والشهودَ والأعيانَ وبدرانَ وابنَ وَرَّام وعميدَ العراق وحواشي السلطان، وبعث إلى السلطان ابنَي المأمون الهاشميين وخادمين وحاجبين، واستدعاه إلى دار الخلافة، فنزل في طيار الخليفة، وكان قد زيَّن وأرسل إليه، وانحدر خواصُّه في الزبازب وعلى الظهر فِيلان يسيران بإزاء الطيار والعساكر، والناس من جانبي بغداد، ثم قُدِّم له مركبٌ من مراكب الخليفة، فنفر من الفيلين، فقُدِّم له من خيله فرسٌ أشهبُ، فركبه وعليه قَباءُ ديباج أسود، وعمامة مثلَّثة مذهبة، ودخل الدار وبين يديه أولاد الملوك أبو علي وأبو طالب كامروا ابنا أبي كاليجار بن بُوَيه، وقُتُلْمِش ابنُ عمه، وأشراف القُوَّاد والديلم، ونحوٌ من خمس مئة غلام من الترك، والكلُّ بغير سلاح، فلما بلغ باب دهليز صحن السلام وقف طويلاً على فرسه إلى أن فتح له الباب، فنزل ودخل ماشياً، وتلقَّاه رئيس الرؤساء، وكان الخليفة في بيت في صدر البهو، وعلى بابه ستور ديباج، فرُفِعت، وإذا بالخليفة جالسٌ على سرير ارتفاعُه من الأرض سبعةُ أذرع في دَسْتِ ديباج منقوشاً وعليه العمامة والقميص المُصْمَتان، وعلى منكبه بردة رسول الله ﷺ وبيده القضيب، فلمَّا رآه

السلطان قبَّلَ الأرض دفعاتٍ كثيرة، ونُصِبَ له كرسيٌّ دون السرير لطيفٌ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: أصعِدْ ركن الدولة إليه، وأصعِدْ معه محمد بن منصور الكُنْدُري مفسِّراً له ومعبِّراً عنه. فصَعِدا، وقال الخليفة لرئيس الرؤساء: قُلْ لركن الدين: أمير المؤمنين حامدٌ لسعيك، شاكرٌ لفضلك، زائدُ الشغف بك، وقد ولَّاك جميعَ ما ولَّاه الله من بلاده، وردَّ إليك مراعاةَ عباده، فاتَّقِ الله فيما ولَّاك، واعرِفْ نعمته في ذلك، واجتهِدْ في عمارة البلاد، وصلاح العباد، ويسِّر العدل، وكُفَّ الظلم. ففسَّر له عميدُ الملك القول، فقام وقبَّل الأرض، وقال: أنا خادم أمير المؤمنين وعبدُه ومتصرِّفٌ على أمره ونهيه، ومتشرِّفٌ بما أهَّلني به واستخدمني فيه، ومن الله أستمدُّ المعونة والتوفيق.

ثم أذن أمير المؤمنين أن تُفاض[1] عليه الخِلعُ، فنزل إلى بيتٍ في جانب البهو، وخلع عليه الخلع المعهودة، وعاد فجلس بين يدي الخليفة، ومنعه التاج أن يُقبِّل الأرض، وقلَّده الخليفةُ سيفاً، وخاطبه بملك المشرق والمغرب، وزاده لواءً ثالثاً عقده بيده، وأحضر العهدَ وقال: ليُسلَّمْ إليه. وقُرِىء صدرٌ منه، وقال له: اعمَلْ بموجبه. ثم قال: آمرك بما أمرك الله به، وأنهاك عما نهى الله عنه، وهذا منصور بن محمد نائبُنا لديك، وخليفتُنا عندك، فاحتفِظْ به، وارْعَه فإنه الثقة الأمين، انهض ـ على اسم الله تعالى ـ مصاحَباً محروساً. فسأله مصافحته، فأعطاه يده فقبَّلها ووضعها على وجهه دفعتين، وخرج والأكابر بين يديه، ورُفعت الألويةُ من سطح صحن السلام، وخطب من الرَّواشن لئلا يكسر في الأبواب، وجلس للهناء، وبعث في اليوم الثالث للخليفة خمسين غلاماً أتراكاً على الخيول بالسيوف والمناطق، وعشرين رأساً من الخيل، وخمسين ألف دينار، وخمس مئة ثوب أنواعاً، ولرئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

وفي ذي الحجَّة قبض صاحبُ مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري وعلى ثمانين من أصحابه، وقُرِّرت عليهم أموالٌ عظيمة، وكتب خطة بثلاثة آلاف ألف دينار، وأصله من يازور؛ قريةٍ بالساحل من أعمال الرملة، وترامت به الحال إلى أن صار قاضيها، وله بها أملاك نفيسة، فاتَّفق أنه لحقها أمرٌ عجز به عن ارتفاعها، ولم يوفِ للسلطان ما يجب له عليها، وأدى البعض، وبقي البعض، فطالبه مُعِزُّ الدولة

(١) العبارة في (ف): ثم إن أمير المؤمنين أفاض.

والي الرملة، فقال: ليس لي طاقة. فكتب إلى مصر، فأمر بحمله إليها، فأقام على باب الديوان مطالباً، وخرج الناس إلى الحجِّ، فسأل السيدةَ والدة المستنصر بالله أن تفسح له في الحج، فأذِنَتْ له في الإشراف على خزانتها الخارجة إلى مكة، فحجَّ وعاد إلى المدينة، فزار قبرَ رسول الله ﷺ، وجلس يدعو، فسقطت على كتفه من حائط حجرة النبي ﷺ قطعةٌ من الخَلوق[1] الذي عليه، ورأى ذلك أحد الخُدَّام، فجاء إليه وقال له: يُهنيك ولايةٌ كبيرة جليلةٌ، تملك بها أمور المسلمين. قال: ومن أين لك هذا؟ فقال: هذه عادة هذا الحائط إذا وقع منه قطعة على أحد، فعاهِدْني على ما تفعله معي إذا صحَّ ذلك. فقال: مهما شئتَ. وعاد إلى مصر فلم يَحُلِ الحولُ عليه حتى تقلَّد الوزارة، ووفَّى للخادم بما ضمن له، وصارت له بالمسجد وساكنيه عنايةٌ عظيمةٌ، ومراعاةٌ شديدة.

وقال ابن الصابىء: وفي العشر الآخر من ذي الحجة قُبِضَ بمصر على الوزير أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري وعلى ثمانين نفساً من أصحابه، وقُرِّر عليه ثلاثةُ آلاف ألف دينار، وعلى ابن زكريا القاضي ـ وكان خِصِّيصاً به ـ مئةٌ وخمسون ألف دينار، ومن أبي الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربي مثلُه، ومن قرابته خمسون ألف دينار، واختلفت الروايات في سبب ذلك، وكانت فيه سماحةٌ وكرمٌ وجودٌ وسَعةُ صدر، وله ألقاب كثيرة: الناصر لدين الله، غياثُ المسلمين، الأوحد، الأجَلُّ، سيد الوزراء، وتاج الأصفياء، وقاضي القضاة، وداعي الدُّعاة، وعلم المجد، خليل أمير المؤمنين وخاصته، أبو الفرج البابلي، صاحب الديوان لتنفيذ الأمور. وكان البازوري حنفيَّ المذهب.

وقال أبو يوسف القزويني: التقاني يوماً وهو متوجِّهٌ إلى الديوان، فلمَّا رآني وقف، فوقف الناس لأجله، فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إليكَ. قال: في أيِّ شيء؟ قلت: قصدني الناس في حوائج التزمتُ قضاءها. فقال: لا أبرحُ من مكاني حتى تذكرها. فجعلتُ أذكر له حاجةً حاجةً وهو يقول: نعم وكرامة، حتى قال في الحاجة الأخيرة: السمع والطاعة. ومضى، فانفرد أميرٌ كان معه إليَّ وقال لي: أيُّ شيء أنت؟ قلت: لا شيء. قال: لا شيء، يقول له الوزير: السمع والطاعة، عرِّفني ما أنت؟ قلت: من أهل العلم. فقال: استكثِرْ مما معك، فإنه إذا كان في شخص أطاعَتْه الملوك.

---

(١) الخَلوق: ضربٌ من الطِّيب يُتَخذ من الزعفران. تاج العروس (خلق).

وفيها تُوفِّي

أحمد بن عبد الله[١]

ابن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود بن المُطهِّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث ابن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن عبد بن غطفان بن عمرو بن بَريح بن جَذيمة بن تيم الله بن أسد بن وَبْرة بن تَغْلِب بن حُلوان بن عمران [بن الحافِ][٢] بن قُضاعة، أبو العلاء، التنوخي، المعرِّي، وتنوخ: قبيلةٌ من اليمن، توفي يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول بمعرة النعمان من الشام، ومولده يوم الجمعة لثلاثٍ بَقِينَ من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، وأصابه جُدريٌّ في سنة سبع أواخر سنة ست وستين وثلاث مئة، فغشي حدقتيه بياضٌ فعمي، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، أو اثنتي عشرة، وسمع اللغة وأملى فيها كتباً، وله بها معرفة تامة، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين، وأقام بها سنةً وسبعة أشهر، ثم عاد إلى منزله، فلزم منزله، وسمَّى نفسه: رَهينَ المحبِسَين ـ يعني منزلَه وبصرَه ـ وأقام خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض ولا اللبن، ويُحرِّم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس خشن الثياب، وأقواله تدلُّ على اختلاط عقيدته.

وقال الخطيب التبريزي: قال لي المعرِّي: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليومَ أعرف اعتقاده، فقلتُ: ما أنا إلا شاكٌّ. فقال: وكذا شيخك. وكان ظاهرُ أمره الميل إلى مذهب البراهمة؛ لأنهم لا يرون ذبح الحيوان، ويجحدون الرسل.

وقد رماه جماعة بالزندقة والإلحاد، وذلك أمر ظاهر في كلامه وأشعاره، وأنه يردُّ على الرسل، ويَعيب الشرائع، ويجحد البعث.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: ومن العجائب أنَّ المعرِّي أظهر ما أظهره من كفره البارد الذي ما بلغ فيه مبلغ شبهات الملحدين، بل قصَّر فيه كلَّ التقصير، وسقط من عيون

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٠-٢٤١ ، والمنتظم ١٦/ ٢٢-٢٧ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٠٧-٢١٨ . وينظر السير ١٨/ ٢٣ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عدد من مصادر الترجمة.

الناس، ثم اعتذر بأنَّ لقوله باطناً، وأنه مسلمٌ في الباطن، فلا عقلَ ولا دين؛ لأنه يظاهر بالكفر، وزعم أنه مسلم في الباطن، وهذا عكس قضايا المنافقين والزنادقة، فإنهم تظاهروا بالإسلام، وأبطنوا الكفر، فهل كان في بلاد الكفار حتى يحتاج إلى هذا، فلا أسخفَ عقلاً ممن سلك هذه الطريقة التي هي من طريقة الكفار والمنافقين والزنادقة، وهو مثل ابن الرِّيْوَندي وأبي حيان، فإنهم انكشف كلامُهم عن مثل هذا، يتكلمون في التوحيد والتحميد والتقديس، ويدسُّون في أثناء ذلك المحن.

قال ابن الصابىء: وله شعر كثير، وفيه أدب غزير، ويرمى بالإلحاد، وأشعاره دالَّةٌ على ذلك، ولم يَكُ يأكل لحوم الحيوان ولا البيض ولا اللبن، ويقتصر على ما تُنبته الأرض، ويُحرِّم إيلام الحيوان، ويظهر الصوم في زمانه جميعه، ونذكر طرفاً مما بلغَنا من شعره الدالِّ على إلحاده، فمنه: [من الكامل]

صَرْفُ الزمانِ مُفرِّقُ الإلفَينِ ... فاحكُمْ إلهي بينَ ذاكَ وبيني
أنهَيتَ عن قتلِ النفوس تعمُّداً ... وبعثْتَ تقبضُها مع الملَكَينِ
وزعمتَ أنَّ لها مَعاداً ثانياً ... ما كان أغناها عن الحالينِ[1]

ومنه: [من البسيط]

تناقضٌ ما لنا إلا السكوتُ لَهُ ... وأن نعوذَ بمولانا من النارِ
يدٌ بخمسِ مِئينٍ عسجدٍ وُدِيَتْ ... ما بالُها قُطِعَتْ في ربعِ دينارِ[2]

ومنه: [من الوافر]

قِرانُ المشتري زُحلاً يُرجَّى ... لإيقاظِ النواظرِ من كراها
وهيهاتَ البريةُ في ضلالٍ ... وقد فَطِنَ اللبيبُ لما اعتراها
تقضَّى الناسُ جيلاً بعد جيلٍ ... وخُلِّفَتِ النجومُ كما تراها
تقدَّمَ صاحبُ التوراة موسى ... وأوقَعَ بالخسارِ من اقتراها
فقالَ رجالُهُ وحيٌ أتاهُ ... وقالَ الناظرونَ بلِ افتراها
وما حجِّي إلى أحجارِ بيتٍ ... كؤوسُ الخمرِ تُشرَبُ في ذُراها

(١) معجم الأدباء ٣/ ١٧٠ و١٧٤ .
(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٧٣٧ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٦٩ .

إذا رجع الحكيمُ[1] إلى حِجاه تهاونَ بالمذاهبِ وازْدَراها

ومنه: [من الوافر أيضاً]

عقولٌ يستخِفُّ بها حليمٌ ولا يدري الفتى لمن الثُّبورُ
كتابُ محمدٍ وكتابُ موسى وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزَّبورُ[2]

ومنه: [من الطويل]

إذا كانَ لا يحظى برزقِكَ عاقلٌ وترزقُ مجنوناً وتُعطي أحمقا
فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على امرىءٍ رأى منكَ ما لا يشتهي فتزندقا

ومنه: [من الطويل أيضاً]

ضَحِكنا وكان الضِّحكُ منا سفاهةً وحُقَّ لسُكَّانِ البسيطةِ أن يبكوا
تُحطِّمُنا الأيامُ حتى كأنَّنا زجاجٌ ولكن لا يُعادُ لهُ سَبْكُ[3]

ومنه: [من الكامل]

خبرُ المقابرِ في القبورِ ومَنْ لهُمْ بمبشِّرٍ يأتي بصدقِ المحشرِ
هيهاتَ يُرجى ميتٌ في قبرِهِ لو صحَّ ذاكَ لكانَ عينَ المتجرِ
خسِرَتْ تجارتُهم فهَلْ من ميِّتٍ يرجو التجارةَ من ضريح المحفرِ

ومنه: [من البسيط]

في كلِّ أمرِكَ تقليدٌ تدينُ بِهِ حتى مقالُكَ ربي واحدٌ أحدُ
وقد أُمِرْنا بفكرٍ في بدائعهِ فإنْ تَفَكَّرَ فيه معشرٌ لَحدوا
لولا التنافسُ في الدنيا لما وُضِعَتْ كتبُ التناظرِ لا المغني ولا العمَدُ[4]

ومنه: [من البسيط أيضاً]

أستغفِرُ اللهَ في أمني وأوجالي مِنْ غفلتي وتوالي سوءِ أعمالي
قالوا هَرِمْتَ ولم تطرُقْ تِهامةَ في مُشاةِ وفدٍ ولا ركبانِ أجمالِ

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٦٨٩ ـ والأبيات فيه ـ: الحصيف، وفي معجم الأدباء ٣/ ١٦٧ : الحليم.
(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٥٩٥ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٧٠ .
(٣) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١١٥٤ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢٧ و١٦٩ .
(٤) معجم الأدباء ٣/ ١٧١ .

فقلتُ إني ضريرٌ والذينَ لهمْ ... رأيٌ رأَوا غير فرضِ الحجِّ أمثالي
ما حجَّ جدِّي ولم يحجُجْ أبي وأخي ... ولا ابنُ عمي ولم يعرِفْ منًى خالي
وحجَّ عنهم قضاءً بعدما ارتحلوا ... قومٌ سيقضون عني بعد ترحالي
فإن يفوزوا بغفرانٍ أَفُزْ معهُمْ ... أو لا فإني بنارٍ مثلُهمْ صالِ
ولا أرومُ نعيماً لا يكونُ لهمْ ... فيه نصيبٌ وهم رهطي وأشكالي
فهَلْ أُسَرُّ إذا حُمَّتْ محاسبتي ... أم يقتضي الحكمُ تَعْتابي وتَسْآلي
مَنْ لي برضوانَ أدعوهُ فيرحمُني ... ولا أُنادي مع الكفارِ أمثالي
باتوا وحتفي أمانيٌّ لباكيهم ... وبِتُّ لم يخطروا منِّي على بالِ
قالوا وهم لقبولٍ في كنافهمُ ... ولا نجاحَ لأفيالٍ كأفيالِ
لمَّا هتفتُ بنصرِ اللهِ أيَّدني ... كأَنْ نُصِرْتُ بجبريلٍ وميكالِ
وجاءني ذاكَ عزرائيل يغضب لي ... فيقبض الروحَ مغتاظاً بإعجالِ
فما ظنونُكَ إذْ جندي ملائكةٌ ... وجندهُمْ بين طوَّافٍ وبقَّالِ
تباركَ اللهُ لا أرجو مثوبَتَهُ ... لكن تعبُّدَ إعظامٍ وإجلالِ

ومنه: [من الكامل]

هَفَتِ الحَنيفَةُ وَالنصَارى ما اهتَدَتْ ... ويَهودُ حارَتْ وَالمَجوسُ مُضَلَّلَهْ
اِثنانِ أَهلُ الأَرضِ ذو عَقلٍ بِلا ... دينٍ وَآخَرُ دَيِّنٌ لا عَقلَ لَهْ[1]

ومنه: [من الوافر]

كَأَنَّ مُنَجِّمَ الأَقوامِ أعمى ... لَدَيهِ الصُّحْفُ يَقرَؤُها بِلَمْسِ
لَقَد طالَ العَناءُ فَكَم يُعاني ... سُطوراً عادَ كاتِبُها بِطَمْسِ
أتى عيسى فعطَّلَ دينَ موسى ... وجاءَ مُحَمَّدٌ بِصَلاةِ خَمْسِ
وقيلَ يَجيءُ دينٌ بعد هَذا ... وأودى الناسُ بَينَ غَدٍ وَأَمْسِ
ومَن لي أَن يَعودَ الدينُ غَضًّا ... فيقنعَ مَنْ تنسَّكَ بالتأسِّي
ومَهما كانَ من دُنياكَ أَمرٌ ... فَما تُخليكَ مِن قَمَرٍ وشَمْسِ

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٦٩ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٦٨ .

لَحا الرحمنُ داراً لا تُدارى ... بمِثلِ المَينِ في لُجَجٍ وقَمْسِ
قُدومُ أَصاغِرٍ ورَحيلُ شيبٍ ... وهِجرَةُ مَنزِلٍ وحُلولُ رَمْسِ
إذا قُلتُ المُحالَ رَفَعتُ صَوتي ... وإن قُلتُ اليَقينَ أطلْتُ[1] هَمْسي

ومنه: [من مخلع البسيط]

قُلتُمْ لنا خالِقٌ قديمٌ ... صدقتمُ هكذا نقولُ
زعمتموهُ بلا زمانٍ ... ولا مكانٍ ألا فقولوا
هذا كلامٌ لهُ خبيءٌ ... معناهُ ليستْ لكم[2] عقولُ

ومنه: [ومن البسيط]

دينٌ وكُفرٌ[3] وأنباءٌ تُقال وفُرْ ... قانٌ ينُصُّ وتوراةٌ وإنجيلُ
في كلِّ جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها ... فهلْ تفرَّدَ يوماً بالهدى جيلُ

ومن ذلك أيضاً: [من البسيط]

الحمدُ للهِ قَدْ أصبحتُ في لُجَجٍ ... مُكابِداً من هموم الدهرِ قاموسا[4]
قالت معاشرُ لم يَبعَثْ إلهكُمُ ... إلى البريَّةِ عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا الرحمن مأكلةً ... وصيَّروا دينهم للملك[5] ناموسا
ولو قدَرْتُ لعاقبتُ الذين طغَوا ... حتى يعودَ حليفُ الغيِّ مغموسا[6]

ومنه: [من الوافر]

ولا تحسَبْ مقالَ الرُّسْلِ حقًّا ... ولكِنْ قولُ زورٍ سطَّروهُ

---

(١) في (خ): ظلمت، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في لزوم ما لا يلزم ٢/ ٩٢٠ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٦٤ ، وتاريخ الإسلام ٩/ ٧٢٦ .

(٢) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٢٧ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٧٢ : لنا، والأبيات فيهما .

(٣) في النسختين (خ) و(ف): بيض، وهو تحريف ظاهر، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٢٥ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٧٢ ، وتاريخ الإسلام ٩/ ٧٢٥ .

(٤) في النسختين (خ) و(ف): ناموسا، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٩٢ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٧٢ .

(٥) في اللزوم وتاريخ الإسلام: وصيَّروا لجميع الناس.

(٦) في اللزوم: مرموسا.

وكانَ الناسُ في عيشٍ رخيٍّ[١] فجاؤوا بالمِحالِ فكذَّروهُ

ومنه: [من البسيط]

والروحُ أرضِيَّةٌ في رَأي طائِفَةٍ وعِندَ قَومٍ تَرقَّى في السماواتِ
تَمضي عَلى هَيئَةِ الشَّخصِ الَّذي سَكَنَتْ فيه إلى دارِ نُعمى أو شَقاواتِ
وكَونُها في صفيحِ[٢] الجِسمِ أحوَجَها إلى مَلابِسَ عَنَّتها وَأَقواتِ
وإنَّما حَمَّلَ التَّوراةَ قارِئَها كَسبُ الفوائِدِ لا حُبُّ التلاواتِ
إنَّ الشَّرائِعَ ألقَت بَينَنا إِحَناً وأورثَتْنا أَفانينَ العَداواتِ
وهَلْ أُبيحَتْ نساءُ الرومِ عن عُرُضٍ للعُربِ إلا بأحكام النبوَّاتِ

ومنه: [من المتقارب]

لعمري لقدْ طالَ هذا السَّفَرْ عليَّ وأصبحتُ إحدى النُّكَرْ[٣]
أأخرجُ من تحتِ هذي السماءِ فكيفَ الإباقُ وأينَ المفرّ
لحا اللهُ قوماً إذا جئتَهُمْ بصدقِ الأحاديثِ قالوا كفَرْ
وإنْ غُفِرَتْ موبقاتُ الذُّنوبِ فكلُّ معايبهمْ تُغتَفَرْ
هنيئاً لجسمي إذا ما استقَرّ وصارَ لعنصرِهِ في العفَرْ[٤]

ومنه: [من الطويل]

أفيقوا أفيقوا يا غواةُ فإنَّما ديانتُكُمْ مكرٌ من القُدماءِ[٥]

ومنه: [من السريع]

لا يكذبِ الناسُ على ربِّهمْ ما حُرِّكَ العرشُ ولا زُلْزِلا[٦]

---

(١) في معجم الأدباء ٣/ ١٧٣ : رغيدٍ.
(٢) في لزوم ما لا يلزم ١/ ٢٨٢ : طريح.
(٣) في لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٢٣ : وأصبحتُ أحدو النَّفَر.
(٤) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٢٣ ، والعَفَر: التراب.
(٥) لزوم ما لا يلزم ١/ ٦٠ .
(٦) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٧٥ .

ومنه: [من البسيط]

كونٌ يُرى وفسادٌ جاء يتبعُهُ تباركَ اللهُ ما في خلقهِ عبَثُ
وإنْ يُؤذِّنْ بلالٌ لابنِ آمنةٍ فبعدَه لسَجاحٍ قد دعا شَبَثُ[1]

وله كتاب عارض به السور والآيات، سمَّاه «الفصول والغايات» وغير ذلك، [وشعره فيه إلحادٌ ما اشتهيتُ أذكرُه.

قال ابن الصابىء: وحدثني الوزير فخر الدولة أبو نصر بن خميس قال: حدثني] المنادي الشاعر [قال]: اجتمعتُ بأبي العلاء بمعرة النعمان، فقلت له: ما هذا الذي يُحكى عنك؟ فقال: حسدني قوم، فكذبوا عليَّ. فقلتُ: علامَ حسدوك، وقد تركتَ لهم الدنيا والآخرة؟ فقال: والآخرة؟! قلت: إي والله. ثم قلتُ: فلِمَ تمتنِعُ من أكل الحيوان، وتلوم من يأكله؟ فقال: رحمةً مني له، وإنهم يأكلون ما تأكلون. قلت: لا، بل تقول: إنه من شرِّ الناس، فلَعمري إنهم يجدون ما يأكلون، وعن اللُّحمانِ يتعوَّضون. [قلت]: فما تقول في السباع والجوارح التي خُلِقَتْ لا غذاءَ لها غير لحوم الناس والبهائم، ولا طعامَ تعتاضُ به عنها، وما أنت بأرأفَ من الخالق بخلقه، ولا أحكمَ منه في تدبيره وإن كانتِ الطبائع المحدثة لذاك على مذهبك، فما أنتَ بأحذقَ منها، ولا أتقنَ صنعاً له، ولا أحكمَ عملاً حتى تعطِّلها ويكون رأيُكَ وعقلُكَ أرجحَ منها؟ فسكت.

وقال محمد بن الصابىء: أذكر عند ورود الخبر بموته، وقد تذاكرنا أمرَه وكفرَه ومعنا غلام يُعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والسلامة والعفة[2] والديانة، فلمَّا كان من غد ذلك اليوم قال: رأيتُ البارحةَ في منامي رجلاً شيخاً ضريراً وعلى كتفيه أفعيان قد تدلَّيا إلى فخذيه، وكلٌّ منهما يرفع فمه إلى وجهه، فيقطع منه قطعةَ لحم فيزدردها وهو يصيح ويستغيث، فقلت: مَنْ هذا؟ وقد أفزعني ما رأيتُه، وروَّعني ما

(١) شَبَث: هو ابن رِبْعي، كان مؤذِّن سَجاح ـ زوج مسيلمة ـ ثم أسلم، ثم كان ممَّن أعان على عثمان، ثم صحب علياً، ثم صار من الخوارج عليه، ثم تاب. تقريب التهذيب (ترجمة شبث بن ربعي).

(٢) في (م) و(م١): والفقه.

شاهدتُه، فقيل لي: هذا المعرِّي الملحد. قال: فعجِبْنا من ذلك، فاستظرفناه حيث وقع عقيب ما تفاوضناه من كفره[١].

وقال الشيخ أبو الفرج [ابن][٢] الجوزي: مات المعرِّي بمعرة النعمان عن ستٍّ وثمانين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً، في ربيع الأول، وذُكِرَ لنا أنه أُنشِد على قبره ثمانون مرثيةً رثاه بها أصحابُه ومَنْ قرأ عليه ومال إليه، حتى قال بعضهم: [من الكامل]

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدماءَ زهادةً فلقَدْ أرَقْتَ اليومَ من عيني دما[٣]

وهؤلاء بين أمرين، إمَّا جُهَّالٌ بما كان عليه، وإمَّا قليلو الدِّين، ومن سبر خفيات الأمور بانت له، فكيفَ بهذا الكفر الصريح في هذه الأشعار؟!

[قلت: وقد ذكره الغزالي في كتاب له سمَّاه «سر العالمين وكشف ما في الدارين» وقال:][٤] حدثني يوسف بن علي بأرض الهركار قال: دخلتُ معرة النعمان وقد وشى وزيرُ محمود بن صالح صاحب حلب إليه بأنَّ المعرِّي زنديق لا يرى إفساد الصور[٥]، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل، فأمر محمود بحمله إليه من المعرَّة إلى حلب، وبعث خمسين فارساً [إليه] ليحملوه، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة، فدخل عليه عمُّه مسلم بن سليمان وقال له: يا ابن أخي، قد نزلَتْ بنا هذه الحادثة، الملك محمود يطلبك، فإن منعناك عجزنا، وإن أسلمناك[٦] كان عاراً علينا عند ذوي الذمام، ويركب تنوخاً العارُ والذِّلةُ. فقال له: هَوِّنْ عليك يا عم، فلا بأس علينا، فلي سلطانٌ يذُبُّ عني. ثم قام فاغتسل وصلَّى إلى نصف الليل، ثم قال لغلامه: انظُرْ أين[٧] المريخ. فقال: في منزلة كذا وكذا. فقال: زِنْه واضرِبْ تحته وتداً، وشُدَّ في رجلي خيطاً واربُطْه إلى الوتد. ففعل غلامُه ذلك، فسمعناه وهو يقول: يا قديمَ الأزل، يا علةَ العِلَل، يا صانعَ

(١) في (م) و(م١): أمره.

(٢) هذه الزيادة من (ف).

(٣) قائله علي بن الهمام، وهو في معجم الأدباء ٣/ ١٢٦، وفيه: جفني، بدل: عيني.

(٤) في (خ) و(ف) بدلاً منها: وقال الغزالي.

(٥) تحرفت في (م) إلى: الصوم.

(٦) في (م) وحدها: أرسلناك.

(٧) في (ف) وحدها: إلى.

المخلوقات، وموجدَ الموجودات، أنا في عزِّكَ الذي لا يُرام، وكنفك[١] الذي لا يُضام، الضيوفَ الضيوفَ، الوزيرَ الوزير، ثم ذكر كلمات لا تُفهم، وإذا بهدَّةٍ عظيمة، فسأل عنها، فقيل: وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها، فقتلت الخمسين.

وعند طلوع الشمس وقعَتْ بطاقةٌ من حلب على جناح طائر، فيها: لا تُزعجوا الشيخ، فقد وقع الحِمامُ على الوزير. قال يوسف بن علي: فلمَّا[٢] شاهدتُ ذلك دخلتُ على المعرِّي، فقال: من أين أنت؟ قلت: من أرض الهركار. فقال: زعموا أني زنديق. ثم قال: اكتُبْ. وأملى عليَّ [أبياتاً من شعره] وقال: [من البسيط]

باتوا وحَتْفي أمانيهم مصوَّرةٌ[٣] ... وبِتُّ لم يخطروا منِّي على بالِ
وفوَّقوا لي سهاماً من سهامهمُ ... فأصبحَتْ وقَّعاً عنِّي بأميالِ
فما ظنونُكَ إذْ جندي ملائكةٌ ... وجندهُمْ بين طوَّافٍ وبقَّالِ
لقيتُهم بعصا موسى التي منعَتْ ... فرعونَ مِلكاً ونَجَّتْ آلَ إسرالِ
أُقيمُ خمسي وصومُ الدَّهرِ آلَفُهُ ... وأُدمِنُ الذِّكرَ[٤] أبكاراً بآصالِ
عيدَينِ أُفطرُ في عامي إذا حضرا ... عيدُ الأضاحيِّ يقفو عيدَ شوَّالِ
إذا تنافستِ الجُهَّالُ في حُلَلٍ ... رأيتني من خشين القطن سربالي
لا آكلُ الحيوانَ الدَّهرَ مأثُرةً ... أخافُ من سوءِ أعمالي وآمالي
وأعبدُ اللهَ لا أرجو مثوبتَهُ ... لكنْ تعبُّدَ إكرامٍ وإجلالِ
أصونُ ديني عن جُعْلٍ أُؤمِّلُهُ ... إذا تعبَّدَ أقوامٌ بأجعالِ

قال المصنف رحمه الله: ولا خلاف في سَعةِ علم الرجل، وغزارةِ فضله، وصحةِ نسبه، وأنه أوحد زمانه، وله المصنفات الحِسان، [التي فاق بها على أبناء الزمان] منها: «لزوم ما لا يلزم» في عدة مجلدات، و«استغفِرْ واستغفري» في ست مجلدات، و«رسالة الغفران» و«رسالة الملائكة» و«زجر النابح» و«بحر الرجز» و«سَقط الزَّنْد»

(١) في (م) و(م١): سلطانك.
(٢) في (م) و(م١): وأنا.
(٣) في (خ): وحتفي أماني أمانيهم، وفي (ف): وحتفي أماني بصورةٍ، والمثبت من الوافي بالوفيات ٧/ ١٠٩.
(٤) في (خ): الدهر، والمثبت من (ف)، والوافي بالوفيات.

و«اللامع العزيزي في شرح المتنبي» و«السجع السلطاني» و«الأيك والغصون» وغير ذلك.

وقال التبريزي: كان لأبي العلاء عشرة من الكُتَّاب يملي على كلٍّ واحدٍ فنوناً غيرَ ما يملي على الآخر، وهم يكتبون له النثر البليغ، فمنه:

القولُ ذهبَ في الهواء، والقومُ غرقوا في الأهواء.

و: إذا حانَ القضاء ضاق الفضاء.

و: نِعْمَ النساءُ المُغتَزِلات، وأبعدَ الله المُتغزِّلات؛ الأول من الغَزْل، والثاني من الغَزَل.

وقال: قبضَ ما شاء وبسط، وأقسطَ وما قسط.

وقال: الْقَ مقاديرَ الله ولا تَلِقْ[1]، وخَلِّقْ لفظَكَ ولا تختلِقْ، وأضِىء بالمعروف وأُتلِقْ[2]، وأطلِقْ يمينك فغداً تنطلِق.

وقال: أين النَّثْرةُ من العَثْرة، والفَرْقَدُ من الغَرْقَد.

وقال: الساعي في أثره فارس عصا بصير، لا فارس عصا قصير.

وقال: سَعْفُ النخيل خيرٌ من إسعاف النحيل.

وقال: وأين موضع السَّيل من مطلع سُهيل.

وقال: إذا لقيتَ جارك فحَيِّه، وإن نزح بك الزمنُ عن حَيِّه.

وكان يقول: أورَدني أبي مورداً لابُدَّ أن أرِدَهُ، ووالله لا أوردتُه أحداً بعدي.

ولمَّا احتضر قال: [من مجزوء الكامل]

هـــذا جـــنـــاه أبـــي عـــلـــيَّ وما جـــنـــيـــتُ عـــلـــى أحـــد

(١) من الوَلْق: وهو الإسراع بالشيء في إثر الشيء. المعجم الوسيط (ولق).

(٢) العبارة في النسختين (خ) و(ف): وارض بالمعروف وأقلق، والتصويب من الفصول والغايات لأبي العلاء المعري ص ٩٣، وتألَّقَ البرقُ وأتْلَقَ: لمع. الصحاح (ألق).

[وذكر ابنُ الهَبَّاريَّة في «فلك المعاني» وقال]: بلغَ أبا نصر بن أبي عمران داعي الدُّعاة لصاحب مصر حديثُه، فاستدعاه إلى حلب وكان بها، فسمَّ أبو العلاء نفسه فمات. [قلت] ولم يوافق ابنَ الهبارية على هذا أحد، وقد أجمعوا على أنه مات على فراشه الموت الطبيعي، ومن شعره: [من الخفيف]

يا مريضاً أحلَّ بي كلَّ داءٍ ... إنَّ نفسي تفديكَ كلَّ الفداءِ
حلَّ ما بي فليس يُرجى شفائي ... كيفَ يَشفى المريضُ من ألفِ داءِ

وقال: [من الطويل]

إذا ما خَبَتْ نارُ الشَّبيبةِ ساءَني ... ولو نُصَّ لي بينَ النُّجومِ خِباءُ

[وقال: من البسيط]

يأتي على الناسِ إمساءٌ وإصباحُ ... وكلُّهمْ لصُروفِ الدَّهر نَسَّاءُ
وكم مضى من قبيلٍ أو يماثِلُهُ ... من المَقاولِ سرُّوا الناس أم ساؤوا
تتوى[1] الملوكُ ومصرُ في تغيُّرِهِمْ ... مصرٌ على العهدِ والأحساءُ أحساءُ
خَسِسْتِ يا أُمَّنا الدنيا فأُفٍّ لنا ... بني الخسيسةِ أوباشٌ أخِسَّاءُ
وقد نطقتِ بأصنافِ العِظاتِ لنا ... وأنتِ فيما يظنُّ القومُ خَرْساءُ
يموجُ بحرُكِ والأهواءُ غالبةٌ ... لِراكِبيهِ فهلْ للسُّفْنِ إرساءُ
إذا تعطَّفْتِ يوماً كنتِ قاسيةً ... وإنْ نظرتِ بعينٍ فهي شَوساءُ
نالوا قليلاً من اللَّذاتِ وارتحلوا ... برَغْمِهم فإذا النَّعماءُ بأساءُ

وقال: [من الكامل]

البابليَّةُ بابُ كلِّ بليَّةٍ ... فَتَوقَّيَنَّ هجومَ ذاكَ البابِ
جَرَّتْ مُلاحاةَ الصديقِ وهجْرَهُ ... وأذى النديمِ وفُرقةَ الأحبابِ[2]

قال المصنف رحمه الله: من ها هنا أخذ جدي رحمه الله فقال في «المدهش»[3]: محبة الدنيا مِحنة، عيونها بابلية، كم فتحت باب بلية؟ ولا حيلة كحيلة، من عين كحيلة.

(١) تتوى: تذهب. المعجم الوسيط (توي).
(٢) لزوم ما لا يلزم ١/ ٢٠٤.
(٣) المدهش ص ١٥٥.

وقال: [من المتقارب]

تجيءُ يهودُ بتوراتها ... وفيها مواعيدُ عرقوبِها
وإسحاقُها جرَّ إسحاقَها ... وقائبةُ الطير من قُوبِها[1]
ورَقُّوا لأملاكهم عنوةً ... وقالوا أحاديث رَقُّوا بِها

إسحاقُها الأول النبي عليه السلام، والثاني إبعادُها.

وقال: [من الخفيف]

سلكَ النَّجْدُ في قِطار المنايا ... قَطَرِيٌّ ونَجدةٌ وشَبيبُ[2]
شبَّ فِكرُ الحصيفِ ناراً فما يَحْـ ... ـسُنُ يوماً بعاقلٍ تشبيبُ[3]

وقال: [من الخفيف أيضاً]

زارَه حتفُهُ فقطَّبَ للمو ... تِ وألقى من بعدها التَّقطيبا
زوَّدوه طِيباً ليلحقَ بالنَّا ... سِ وحَسْبُ الدَّفينِ بالتُّربِ طيبا
باتَ في قبرِهِ وَوُسِّدَ يُمنا ... هُ فخِلناهُ قامَ فينا خطيبا
للمنايا حواطِبٌ لا تبالي ... أهشيماً جَرَّتْ لها أم رطيبا
صرفَتْ كأسَها فلم تَسْقِ شَرْباً ... مرةً خالصاً وأخرى قطيبا[4]

وقال: [من الخفيف]

أسطرٌ لابَ حولَهنَّ جهولُ ... فهو يرجو هدًى بأَسْطُرْلابِ
والبرايا لفظُ الزمانِ ولا بُدَّ له من تغيُّرٍ وانقلابِ[5]

وقال: [من البسيط]

الحمدُ لله قد أصبحتُ في دعةٍ ... أرضى القليلَ ولا أهتمُّ بالقوتِ
وشاهِدٌ خالقي أنَّ الصلاةَ لهُ ... أجَلُّ عنديَ من دُرٍّ وياقوتِ

---

(١) القُوب: البَيض. المعجم الوسيط (قوب).

(٢) هؤلاء الثلاثة هم: قَطري بن فجاءة، ونجدة بن عويمر، وشبيب بن يزيد، وهم من زعماء الخوارج.

(٣) لزوم ما لا يلزم ١/ ١١٩، والتشبيب: الغَزَل.

(٤) لزوم ما لا يلزم ١/ ١٥٠، والقَطيب: الممزوج.

(٥) لزوم ما لا يلزم ١/ ٢١٠.

ولا أعاشِرُ أهلَ العصرِ إنَّهمُ ... إنْ عُوشِروا بين محبوبٍ وممقوتِ
يسيرُ بي وبغيري الوقتُ مبتدراً ... إلى محلٍّ من الآجالِ موقوتِ[1]

وقال: [من المخلع البسيط]

الصَّونُ[2] في جملةِ العوافي ... لا الكونُ في جُملة العُفاةِ[3]
قد خَفَتَ القومُ واستراحوا ... آهٍ منَ الصَّمتِ والخُفاتِ
أرى انكفائي إلى المنايا ... أغنى عن الأسْرةِ الكُفاةِ[4]
ومن صِفاتِ النِّساءِ قِدْماً ... أنْ لَسْنَ في الوُدِّ مُنصفاتِ
وما يبينُ الوفاءُ إلَّا ... في زَمَنِ الفَقدِ والوفاةِ

وقال: [من البسيط]

خلَصتُ من سَبَرات في السّباريتِ ... ورُبَّ يومٍ كَريتٍ دونَ تكريتِ[5]
كم بالسَّماوةِ من صِلٍّ ومن أسدٍ ... كلاهما خُصَّ في شِدْقٍ بتهْريتِ[6]
ما زُرْتُ دارَكَ حتى شفَّني تعبي ... وخارَتِ العِيسُ في آثار خِرِّيتِ[7]
والخيرُ في الأرض كالأترجِّ مَنبِتُهُ ... شاكٍ وأُلزمَ تدخيناً بكبريتِ[8]

وقال: [من الطويل]

ثيابيَ أكفاني ورمسيَ منزلي ... وعَيْشِي حِمامي والمنيةُ لي بَعْثُ
تحلَّي بأسنى الحَلْيِ واحتلبي الغنى ... فأفضَلُ من أمثالكِ النُّفَرُ الشُّعْثُ
يسيرونَ بالأقدامِ في سُبُلِ الهدى ... إلى الله حَزْنٌ ما تَوَطَّأنَ أو وَعْثُ[9]

---

(١) لزوم ما لا يلزم ١/ ٢٧٨ .

(٢) في (خ) و(ف): الكون، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ١/ ٢٩٥ والأبيات فيه.

(٣) العوافي: الدوارس. والعُفاة: الفقراء.

(٤) الكفاة: الكافلون.

(٥) السَّبَرات؛ جمع سَبْرة: وهي الغداة الباردة. والسَّباريت؛ جمع سبروت: وهي الأرض لا نبات فيها. وكَريت: تام. وتِكريت: موضع بالعراق.

(٦) السَّماوة: بادية الشام. والصِّلّ: الحيَّة. وتهْريت الشِّدق: اتساعه.

(٧) شفَّه التعب: أنحله وأهزله. وخارت العيس: تعبت. والخِرِّيت: الدليل الحاذق.

(٨) لزوم ما لا يلزم ١/ ٢٧٧ .

(٩) لزوم ما لا يلزم ١/ ٣٠٤ .

وقال: [من الوافر]

تجمَّعَ أهلُهُ زُمراً إليهِ ... وصاحَتْ عِرْسُهُ أودى فصاحوا
تُخاطِبُنا بأفواهِ المنايا ... من الأيامِ ألسنةٌ فِصاحُ[1]

وقال يرثي أبا حمزة الفقيه الحنفي: [من الخفيف]

غيرُ مُجْدٍ في مِلَّتي واعتقادي ... نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ
وشبيهٌ صوتُ النَّعيِ إذا قيـ ... ـسَ بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادِ
أَبَكَتْ تلكُمُ الحمامةُ أم غنَّـ ... ـت على فَرْعِ غُصنِها الميَّادِ
صاحِ هذي قبورُنا تملأُ الأرْ ... ضَ فأينَ القبورُ من عهدِ عادِ
خَفِّفِ الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الْـ ... أرضِ إلَّا من هذه الأجسادِ
سِرْ إنِ استطعتَ في الهواءِ رُويداً ... لا اختيالاً على رُفاتِ العبادِ
فقبيحٌ بِنا وإنْ بَعُدَ العَهْـ ... ـدُ تناسي الآباءِ والأجدادِ
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ... ضاحكٍ من تزاحُمِ الأضدادِ
ودَفينٍ على بقايا دَفينٍ ... من قديمِ الأزمانِ والآبادِ
فسَلِ الفرقدَينِ عن ما أحسَّا ... من قَبيلٍ وآنسا من بلادِ
كم أقاما على البياض نهاراً ... وأنارا لمُدْلَجٍ في سوادِ
تعبٌ كلُّها الحياة فما أعْـ ... ـجَبُ إلَّا من راغبٍ في ازديادِ
إنَّ حُزناً[2] في ساعةِ الموتِ أضعا ... فُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ
خُلِقَ الناسُ للبقاءِ فضَلَّتْ ... أمةٌ يحسبونَهُم لِلنَّفادِ
إنَّما يُنقَلون من دارِ أعما ... لٍ إلى دارِ شِقْوةٍ أو رشادِ
ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الْـ ... ـجِسْمُ فيها والعيشُ مثلُ السُّهادِ
أبَناتِ الهديلِ أسْعِدْنَ أوْ عِدْ ... نَ قليلَ العزاءِ بالإسعادِ
إيهِ للهِ دَرُّكُنَّ فأنتنَّ الْـ ... ـلَواتي تُحْسِنَّ حِفْظَ الودادِ

---

(١) لزوم ما لا يلزم ١/ ٣٦٤.

(٢) بعدها في النسختين (خ) و(ف) زيادة: يكون، ولا يستقيم الوزن بها، والبيت على الصواب في تاريخ بغداد ٤/ ١٤٠، ومعاهد التنصيص ١/ ١٣٦، والحماسة المغربية ٢/ ٨٨١، وغيرها من المصادر.

ما نسيتُنَّ هالكاً في الأوانِ الـ ـخالِ أودى من قَبْلِ هُلْكِ إيادِ
بَيْدَ أنِّي لا أرتضي ما فعلتُنَّ وأطواقُكُنَّ في الأجيادِ
فتَسَلَّبنَ واستَعِرْن جميعاً مِنْ قميصِ الدُّجى ثيابَ حِدادِ
ثُمَّ غَرِّدْنَ في المآتمِ واندُبْـ ـنَ بشَجْوٍ مع الغواني الخِرادِ[1]
قصدَ الدهر من أبي حمزة الأوَّ ابِ مولى حِجًى ومولى اقتصادِ
وفقيهاً أفكارُه شِدْنَ للنُّعـ ـمانِ ما لم يَشِدْهُ شِعرُ زيادِ
راوياً للحديث لم يُحْوِجِ الـ ـراوي من صدقِهِ إلى الإسنادِ
أنفق العمرَ[2] دائباً يطلب العِلْـ ـمَ بكَشْفٍ عن أصلهِ وانتقادِ
[وَدِّعا أيُّها الحَفِيّانِ ذاكَ الـ ـشَخْصَ إنَّ الوداعَ أيْسَرُ زادِ[3]]
فاغسِلاه بالدَّمعِ إنْ كان طُهْراً وادفِناه بين الحشا والفؤادِ
واتْلُوا النَّعْشَ بالقراءةِ والتَّـ ـسبيحِ لا بالنَّحيب والتَّعدادِ
رُبما أخرجَ الحزينُ جوى الثُّكْـ ـلِ إلى غيرِ لائقٍ بالسَّدادِ
مِثْلَ ما فاتَتِ الصلاةُ سُليما نَ فأحنى على رقابِ الجيادِ
وهو من سُخِّرت له الإنس والجِنُّ بما صحَّ من شهادةِ صادِ
كيفَ أصبحتَ في محلِّكَ بعدي يا جديراً منِّي بحُسْنِ افتقادِ
قد أقرَّ الطبيبُ منهُ بعجْزٍ فتقضَّى تردُّدُ العُوَّادِ
والذي حارتِ البريَّةُ فيهِ حيوانٌ مستخرَجٌ من جمادِ
واللبيبُ الأريبُ مَنْ ليس يغترُّ بِكَوْنٍ مصيرُه لفسادِ

وقال: [من المنسرح]

سِرْتُ ثمانينَ طالباً أجَلي والحَينُ إثري كأنَّهُ حادي
ما أنا بالمُلْحدِ الكفورِ ولا أسألُ مولايَ غيرَ إلحادي
ناديتُ أينَ الذين كان بهم يشرُفُ هذا الفناءُ والنَّادي

(١) الخِراد؛ جمع خرود: وهي البكر التي لم تُمسّ. المعجم الوسيط (خرد).
(٢) في (ف): العلم.
(٣) ما بين حاصرتين ليس في (خ) و(ف) وهو في بغية الطلب في تاريخ حلب ٢/ ٤٥٣ .

مـــزادتـــي الآنَ لا بِـــلالَ بـــهـــا ... ومِـــزْوَدي مُـــنـــفِـــضٌ مـــن الـــزَّادِ
والـسـفـرُ الـدائـمُ الـمـواصَـلُ يَـحْـ ... ـتـــاجُ إلـــى عُـــدَّةٍ وعـــتـــادِ

وقال: [من الطويل]

ألا إنَّ أخـلاقَ الـفـتـى كـزمـانـهِ ... فـمـنـهـنَّ بِـيـضٌ فـي الـعـيـونِ وسُـودُ
وتـأكُـلُـنـا أيـامُـنـا فـكـأنَّـمـا ... تـمـرُّ بـنـا الـسـاعـاتُ وهْـيَ أسـودُ
وقَـدْ يـخـمـلُ الإنـسـانُ فـي عُـنْـفـوانِـهِ ... ويَـنْـبُـهُ مـن بـعـد الـنُّـهـى ويـسـودُ
فـلا تـحـسُـدَنْ قـوماً عـلـى فـضـلِ نـعـمـةٍ ... فـحـسـبُـكَ عـاراً أن يُـقـالَ حـسـودُ
عـرفـتُ سـجـايـا الـدَّهـرِ أمَّـا شـرورُهُ ... فـنـقـدٌ وأمَّـا خـيـرُهُ فـوعـودُ
إذا كـانـتِ الـدُّنـيـا لـذاكَ مـحـلُّـهـا ... ولـو أنَّ كـلَّ الـطـالـعـاتِ سُـعـودُ
رقَـدْنـا ولـم نـمـلِـكْ رُقـاداً عـن الأذى ... وقـامـت بـمـا[1] خِـفْـنـا ونـحـن قُـعـودُ
وكَـمْ أنـذَرَتْـنـا بـالـسـيـولِ صـواعـقٌ ... وكَـمْ خـبَّـرَتْـنـا بـالـغـمـامِ رُعـودُ
حـيـاتـيَ بـعـد الأربـعـيـنَ مـنـيـةٌ ... ووجـدانُـهـا فـي الأربـعـيـن فُـقـودُ
فـمـا لـي وقـد أدركـتُ خـمـسـةَ أعـقُـدٍ ... أبـيـنـي وبـيـنَ الـحـادثـاتِ عُـقـودُ
كـأنَّـا مـن الأيـامِ فـوقَ ركـائـبٍ ... إذا قِـيْـدَتِ الأنـضـاءُ فـهْـيَ تَـقـودُ
ألا إنَّـمـا الـدنـيـا نُـحـوسٌ لأهـلـهـا ... فـمـا فـي زمـانٍ أنـتَ فـيـه سُـعـودُ
ويـوصـي الـفـتـى عـنـدَ الـحِـمـامِ كـأنَّـهُ ... يـمـرُّ فـيـقـضـي حـاجـةً ويـعـودُ
ومـا يـئِـسَـتْ مـن رَجْـعَـةٍ نـفـسُ ظـاعـنٍ ... مـضَـتْ ولـهـا عـنـد الـقـضـاءِ وُعـودُ
تـسـيـرُ بـنـا الأيـامُ وهْـيَ حـثـيـثـةٌ ... ونـحـنُ قـيـامٌ فـوقَـهـا وقُـعـودُ

وقال: [من البسيط]

جـاءَتْ أحـاديـثُ إنْ صـحَّـتْ فـإنَّ لـهـا ... شـأنـاً ولـكـنَّ فـيـهـا ضـعـفَ إسـنـادِ
فـشـاورِ الـعـقـلَ واتـرُكْ غـيـرَهُ هـدَراً ... فـالـعـقـلُ خـيـرُ مُـشـيـرٍ ضـمَّـهُ الـنـادي
وعـظـتُ قـومـاً فـلـم يُـرْعُـوا لـمـوعـظـتـي ... مثلَ امرىءِ القيسِ ناجى طائرَ الوادي
والـعـفـوَ[2] آمُـلُ مـن ربـي إذا حُـضِـرَتْ ... نـفـسـي وفـارقْـتُ عُـوَّادي لأعـوادي

(١) في النسختين (خ) و(ف): وما، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ١/٤٠٦، والأبيات فيه.
(٢) في (خ): والعقل، والمثبت من (ف) كما في لزوم ما لا يلزم ١/٤٩٩، والأبيات فيه.

وقال: [من الوافر]

تلقَّعَ بالعَبا إخوانُ صِدْقٍ ... وأُوسِعَ غيرُهمُ سَرَقاً ولاذا
فلا تعجب لأحكام[1] الليالي ... فإنَّ صروفَها بُنيَتْ على ذا

وقال: [من الخفيف]

ما مُقامي إلا مُقامةُ عانٍ ... كيف أسري وفي يدِ الدَّهرِ أسري
إنَّ جَسْراً[2] على المنيةِ حَزْمٌ ... والبرايا من فوقِهِ فوق جَسْرِ
تبِعَتْ تُبَّعاً وفي القصرِ غالَتْ ... قيصراً وانتحَتْ لكسرى بكَسْرِ
وطَوَتْ طَيِّئاً وآدَتْ[3] إياداً ... وأصابَتْ ملوكَ قَسْرٍ بقَسْرِ
ولقابوسَ[4] كان قيسٌ وفَنَّا ... خُسْرُ[5] أروَتْهُ من فناءٍ وخُسْرِ
سوفَ ألقى من الزمانِ كما لا ... قَوا بعنفٍ لا باستقالٍ ودَسْرِ[6]
ولوَ انِّي السُّها أو النَّسرُ قد شا ... هَدْتُ عصرينِ من يَغوثٍ ونَسْرِ

وقال في بني شيبة: [من الوافر]

وفي بطحاءِ مكةَ شرُّ قومٍ ... وليسوا بالحُماةِ ولا الغَيارى
وإنَّ رجالَ شيبةَ سادِنيها ... إذا راحَتْ لكعبتها الجُمارى[7]
قيامٌ يدفعون الناس شفعاً ... إلى البيتِ الحرامِ وهم سُكارى
إذا أخذوا الزوائفَ أولجوهُمْ ... وإن كانوا اليهودَ أو النصارى
لعلَّ قِرانَ هذا النَّجمِ يهدي ... إلى طُرقِ الهدى أمماً حيارى
فقد أودى بِهِمْ نصبٌ وَظِمءٌ ... وأَيْنُقُهُم بمَهلكةٍ نفارى
أَتَتهُم دَولَةٌ قَهَرَت وعَزَّتْ ... فَباتوا في ضلالَتِها أُسارى

---

(١) في النسختين: لأيام، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ١/ ٥٣٨، والبيتان فيه.
(٢) الجَسْر: الإقدام.
(٣) في (خ) و(ف): وأردت، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٠٤. وآدَتْ: دَهَتْ.
(٤) قابوس هذا: هو ابن النعمان.
(٥) فنَّاخَسر: هو عضد الدولة البُويهي.
(٦) الدَّسْر: الطعن.
(٧) الجُمارى: الجميع.

وظَنُّوا الطُّهرَ مُتَّصلاً بِقَومٍ ... وأحلِفُ أَنَّهُم غَيرُ الطَّهارى
لَهُم كَلِمٌ تُخالِفُ ما أَجَنُّوا ... صُدورُهُمُ بِصِحَّتِهِ تَمارى

وقال: [من المتقارب]

أرى الشُّهدَ[1] يَرجِعُ مِثلَ الصَّبِرْ ... فَما لابنِ آدَمَ لا يَعتَبِرْ
وخَبَّرَهُ صادِقٌ في الحَديثِ ... فإنْ شَكَّ في ذاكَ فَليَختَبِرْ
وجَبرٌ وكَسرٌ لَهُ في الزَّمانِ ... ويُكسَرُ يَوماً فلا يَنجَبِرْ
ولَكِنَّني أَستخيرُ المليكَ ... وإن يَأتِني حادِثٌ أَصطَبِرْ
ودُنيايَ أَلقى بِطولِ الهَوانِ ... فَهَل هِيَ إلّا كَجِسرٍ عُبِرْ

وقال: [من الكامل]

يا ظالماً عقَدَ اليدين مُصلِّياً ... من دونِ ظُلمك يُعقَدُ الزُّنَّارُ
أتظُنُّ أنَّكَ للمحاسنِ كاسِبٌ ... هيهاتَ هذا العارُ ثم النَّارُ[2]

وقال: [من البسيط]

نادَتْ على الدِّينِ في الآفاقِ طائفةٌ ... يا قومُ مَنْ يشتري ديناً بدينارِ
جَنَوا كبائِرَ آثامٍ وقد زعموا ... أنَّ الصغائرَ تجني الخُلْدَ في النَّارِ[3]

وقال: [من الوافر]

تَمرُّ حوادثٌ ويطولُ دهرٌ ... ويفتقرُ المجيزُ إلى المُجازي
وليس على الحقائقِ كلُّ قولي ... ولكن فيه أصنافُ المَجازِ[4]

وقال: [من الطويل]

تُشادُ المغاني والقبورُ دوارِسُ ... ولا يمنعُ المطروقَ بابٌ وحارسُ

---

(١) في (خ): الشعر، وهو تحريف، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٢٩، والأبيات فيه. والشُّهد: العسل بشمعه.
(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٦٣٠، لكن عجز البيت الثاني فيه:
وخَبِيُّ أمرِكَ شِرَّةٌ وشَنارُ
(٣) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٧٣٦.
(٤) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٤٤.

يقولون إنَّ الدّين يُنسَخُ مِثْلَ ما ... تولَّتْ بإقبالِ الحنيفةِ فارسُ
وما لم يكُنْ فاللهُ ليسَ بزائلٍ ... ويجني الفتى من بعدُ ما هو غارسُ

وقال: [من الطويل أيضاً]

جزى اللهُ عنِّي مُؤْنِسي بصدودِهِ ... جميلاً ففي الإيحاشِ ما هُوَ إيناسُ
يخافون شيطاناً من الجنِّ ماردا ... وعنديَ شيطانٌ من الإنسِ خنَّاسُ[1]

وقال: [من المديد]

المَشيداتُ الَّتي رُفِعَتْ ... أَربُعٌ مِن أَهلِها دُرُسُ[2]
قامَ لِلأيَّامِ في أُذُني ... واعِظٌ مِن شَأنِهِ الخَرَسُ
كَم أَبَنَّ الغابُ مِن أسَدٍ ... أَيُّ لَيثٍ ليسَ يفترسُ
مُهجَتي ضِدٌّ يُحارِبُني ... أنا مِنِّي كيفَ أحتَرِسُ
إنَّما دُنياكَ غانِيَةٌ ... لم يُهَنِّىء زَوجَها العُرُسُ
فالقَها بِالزُّهدِ مُدَّرِعاً ... في يدَيكَ السَّيفُ والتُّرُسُ
إنَّ مَن حانَتْ مَنيَّتُهُ ... لم يُدافِعْ دونَهُ حَرَسُ
ليسَ يبقى فَرعُ نابِتَةٍ ... أَصلُها في الموتِ مُنغرِسُ[3]

وقال: [من البسيط]

قد يُخطِىءُ الموتُ سارٍ في تَنوفتِهِ[4] ... ويَهلِكُ المرءُ في قصرٍ له حَرَسُ
ظنَّ الحياةَ عروساً خَلْقُها حسنٌ ... وإنَّما هي غُوْلٌ خُلْقُها شَرِسُ
ونحنُ في غيرِ شيءٍ والبقاءُ جرى ... مجرى الرَّدى ونظيرُ المأتمِ العُرُسُ[5]

وقال: [من البسيط أيضاً]

هل يغسِلُ الناسَ عن وجهِ الثَّرى مطرٌ ... فما بَقُوا لم يفارِقْ وجهَها الدَّنَسُ

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٥٨ .
(٢) أربُعٌ دُرُس: منازل خالية طامسة.
(٣) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٦٨ـ٨٦٩ .
(٤) التنوفة: الصحراء.
(٥) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٧٥ـ٨٧٦ .

تناسلوا فنمى شرٌّ بنسْلِهمُ ... وكم فُجورٍ إذا شُبَّانُهمْ عَنَسوا[1]

وقال: [من الوافر]

تعالى اللهُ أينَ ملوكُ لَخْمٍ ... لقد خَمدوا فما لهمُ حَسيسُ
تُحدِّثُ هذه الأيامُ جهراً ... وتحسبُ أنَّ ما نطقَتْ هَميسُ
وزوجُكِ أيُّها الدنيا تمنَّى ... طلاقَكِ قبلَ أن يقعَ المَسيسُ[2]

وقال: [من الرجز]

يا ربِّ أخرِجْني إلى دارِ الرِّضا ... عَجِلاً فهذا عالمٌ منكوسُ
ظلُّوا كدائرةٍ تحوَّلَ بعضُها ... من بعضِها فجميعُها معكوسُ
وأرى ملوكاً لا تحوطُ[3] رعيةً ... فعلامَ تؤخذ جزيةٌ ومكوسُ

وقال: [من الطويل]

خصاؤُكَ خيرٌ من زواجِكَ حُرَّةً ... فكيفَ إذا أصبحتَ زوجاً لمومسِ
وإنَّ كتابَ المهرِ فيما التمسْتَهُ ... نظيرُ كتابِ الشاعرِ المتَلَمِّسِ[4]
ولُبْسُكَ ثوبَ السُّقمِ أحسَنُ منظراً ... وأبهَجُ من ثوبِ الغَوِيِّ[5] المُنَمِّسِ[6]

وقال: [من الطويل أيضاً]

إذا قصَّ آثاري الغواةُ ليحتذوا ... عليها فوُدِّي أن أكونَ قَصيصا
وكَمْ مَلِكٍ في الأرضِ لاقى خَصاصةً ... وكانَ بإكرامِ العُفاةِ خَصيصا[7]

وقال: [من المتقارب]

أرى جوهراً حَلَّ فيه عَرَضْ ... تباركَ خالِقُنا ما الغرَضْ
يُداوي العليلَ لِكَيما يصحَّ ... وهَلْ صِحَّةُ الجسمِ إلَّا مَرَضْ

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٧٠.

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٨٣.

(٣) في (خ): تحيط، والمثبت من (ف)، ولزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٨٨، والأبيات فيه.

(٤) المتلمّس: اسمه جرير بن عبد العُزَّى، وهو خال طرفة بن العبد.

(٥) في (خ) و(ف): العري، والمثبت من لزوم ما لا يلزم، والأبيات فيه.

(٦) المَنَمِّس: القذر المنتن.

(٧) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٩٦٠.

فلا تتركَنْ ورَعاً في الحياةِ وأدِّ إلى ربِّكَ المُفتَرَضْ
فكَمْ ملكٍ شيَّدَ المَكْرُماتِ ونالَ بها الصِّيتَ ثم انقرَضْ[1]

وقال: [من الطويل]

ظمئتُ إلى ماءِ الشَّبابِ ولم يزَلْ يغورُ على طولِ المدى ويَغيضُ
تراهُ مع الإخوانِ حِبًّا مُكرَّماً فإن زال عنه الماء فهو بغيضُ[2]

وقال: [من الكامل]

أمَّا اليقينُ فإنَّنا سَكَنُ البِلى ولنا هناكَ جماعةٌ فُرَّاطُ[3]
ولكلِّ دهرٍ حليةٌ من أهلِهِ ما فيهمُ حَيْفٌ ولا إفراطُ
كم لاحتِ الأشراطُ في جُنْحِ الدُّجى فمتى تَبينُ لِبَعْثِنا أشراطُ
وكأنَّ هذا الخلقَ أهلُ قيامةٍ[4] ولهم من الموتِ الزُّؤامِ[5] سِراطُ
لوْ لم تكُنْ مثلَ الجماعَةِ زائفاً لم يَشْجُكَ الدِّينارُ والقيراطُ

وقال: [من الخفيف]

يَسبُكُ الصائغُ الزُّجاجَ ولا يَسْـ ـتَطيعُ سَبْكاً للدُرِّ إن يَتَشَظَّى
ليَخَفْ صاحِبُ الديانةِ والصَّو نِ مَقالاً مِن جاهِلٍ يَتَحَظَّى
كيفَ لي أن أكونَ في رأسِ شمَّا ءَ وأَرعى آساً وبُطْماً ومَظَّا[6]

وقال: [من البسيط]

مَنْ رامَ أن يُلزِمَ الأشياءَ واجِبَها فإنَّهُ بحياةٍ ليسَ يَنتَفِعُ
أُرْضِي انتباهي بِما لَمْ يَرضَهُ حُلُمي قِدْماً وأَدفَعُ أوقاتي فَتَندَفِعُ
وَخَفَّ بِالجَهلِ أقوامٌ فَبَلَّغهُمْ منازِلاً بِسَناءِ العِزِّ تَلتَفِعُ

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٩٧٩ .

(٢) في لزوم ما لا يلزم ٢/ ٩٦٩ :

تراه مع الإخوان لا تستطيعُهُ حبيبٌ متى تبعُدْ فأنت بغيضُ

(٣) الفُرَّاط: المتقدمون.

(٤) في لزوم ما لا يلزم ٢/ ٩٩١ : جهنَّم .

(٥) الزُّؤام: العاجل.

(٦) في لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٠٩ : وأرعى في الوحشِ آساً ومظًّا.

أمـا رَأَيـتَ جِـبـالَ الأرضِ لازِمَـةً ... قَـرارَهـا وغُـبـارُ الـرَّكْـضِ يَـرتَـفِـعُ[1]

وقال: [من الطويل]

إذا خَـطَـبَ الـحسـنـاءَ كَـهـلٌ ونـاشِـئٌ ... فـإنَّ الـصِّـبـا فـيـهـا شَـفـيـعٌ مُـشَـفَّـعُ
وَلا يُـزْهِـدَنْـهـا عُـدْمُـهُ إنَّ مُـدَّهُ ... لأَبـرَكُ مِـن صـاعِ الـكَـبـيـرِ وَأَنـفَـعُ[2]

وقال: [من المتقارب]

أخـو سَـفَـرٍ قَـصْـدُهُ لَـحْـدُهُ ... تَـمـادى بِـهِ الـسَّـيـرُ حَـتَّـى بَـلَـغْ
ودُنـيـاكَ مِـثـلُ الإنـاءِ الـخَـبـيـثِ ... وصـاحِـبُـهـا مِـثـلُ كَـلـبٍ وَلَـغْ[3]

وقال:

الفِكرُ حَبلٌ متى يُمْسَكْ على طَرفٍ ... مِـنـهُ يُـنَـط بـالـثُـرَيّـا ذلـكَ الـطَّـرَفُ
والعقلُ كالبحرِ ما غيضَتْ غَوارِبُهُ ... شـيـئـاً ومـنـهُ بَـنـو الأيّـامِ تَـغـتَـرِفُ
أبـني بـجـهـلـيَ داراً لَـستُ أسكُـنُـهـا ... أُقـيـمُ فـيـهـا قـلـيـلاً ثُـمَّ أنـصَـرِفُ
أَأُنـكِـرُ الـلـهَ ذَنـبـاً خَـطَّـهُ مَـلَـكٌ ... وبـالَّـذي خَـطَّـهُ الإنـسـانُ أَعـتَـرِفُ
سَـرِفْـتُ والـلـهَ أرجـو أن يُـسـامِـحَـنـا ... وفـي الـقـديـمِ خَـلا مِـن أهـلِـهـا سَـرِفُ
تَـرومُ رِزقـاً بـأَن سَـمَّـوكَ مُـتَّـكِـلاً ... وأَدْيَـنُ الـنـاسِ مـن يَـسـعـى ويـحـتَـرِفُ
إذا افـتـكَـرنـا عَـلِـمـنـا أنَّ ذا ضَـعَـةٍ ... أعلى النُّجومِ ولِلهِ انتَهى الشَّرَفُ[4]

وقال: [من البسيط]

لا تَـشْـرُفَـنَّ بـدنـيـا عـنـكَ مـعـرِضـةً ... فـمـا الـتـشـرُّفُ بـالـدنـيـا هـو الـشَّـرفُ
واصرِفْ فؤادكَ عنها مثلَما انصرفَتْ ... فـكُـلُّـنـا عـن مـغـانـيـهـا سـيـنـصـرِفُ
يـا أُمَّ دَفْـرٍ لـحـاكِ الـلـهُ والـدةً ... فـيـكِ الـعـنـاءُ وفـيـكِ الـهـمُّ والـسَّـرَفُ
لَوْ أنَّكِ العِرْسُ أوقعتُ الطلاقَ بها ... لـكـنَّـكِ الأمُّ مـا لـي عـنـكِ مُـنـصَـرَفُ

وقال: [من الوافر]

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٢٤ ، وفيه: الأرض، بدل: الركض.
(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠١٦ .
(٣) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٥٦ .
(٤) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٦٥ .

رددتُ إلى مليكِ الخلقِ أمري ... فلمْ أسأَلْ متى يقعُ الكسوفُ
وكم سَلِمَ الجَهولُ من المنايا ... وعُوجِلَ بالحِمامِ الفيلسوفُ[1]

وقال: [من الطويل]

فؤادُكَ خَفَّاقٌ وبرقُكَ خافِقٌ ... وأعياكَ في الدنيا خليلٌ موافقُ
أرَدْتَ رفيقاً أن ينالَكَ رِفْقُهُ ... فدَعْهُ إذا لم تأتِ منه المرافقُ[2]

وقال: [من الطويل أيضاً]

مَنْ مُبلِغٌ عنِّي الممالِكَ معشراً ... علياً ومحموداً وخاناً وآلِكا[3]
فما أتمنَّى أنَّني كأقلِّهم[4] ... ولكِنْ أُضاهي المُقتِرين الصعالِكا[5]
فما فيهمُ من ناهضٍ يُدَّعَى بهِ ... يُفَرِّجُ عنِّي بالمضيقِ المسالِكا
وينفر عقلي مغضباً إنْ تركْتُهُ ... سُدًى واتَّبعْتُ الشافعيَّ ومالكا

وقال: [من السريع]

يا خالقَ البدرِ وشمسِ الضُّحى ... مُعَوَّلي في كلِّ أمرٍ عليكْ
وكُلُّ مَلكٍ لَكَ عَبدٌ وما ... يبقى لهُ مُلكٌ فَيُدعى مُلَيكْ
قد رامَتِ النَّفسُ لها مَوئلاً ... فقلتُ مَهلاً ليسَ هذا إلَيكْ
إنَّ الَّذي صاغَكِ يقضي بما ... شاءَ ويمضي فازْجُري عاذلَيكْ
البحرُ[6] في قُدرَتِهِ نُغبَةٌ[7] ... والفُلْكُ الأعظَمُ فيها فُلَيكْ

وقال: [من الطويل]

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٧٣ .

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١١٠٠ .

(٣) في (خ) و(ف): وخانكا، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٣/ ١١٧٠ ، والأبيات فيه، وآلك: هو أيلك خان، وعلي: هو فخر الدولة أخو عضد الدولة، ومحمود: هو ابن سُبُكتِكين، وخان: هو لقب لأيِّ ملك من ملوك الأتراك.

(٤) في اللزوم: كأجلِّهم.

(٥) المقترين والصعالك: الفقراء.

(٦) في (خ): البدر، والمثبت من (ف)، ولزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٠٢ ، والأبيات فيه.

(٧) النُّغبة: الجرعة.

ذَرِ[١] الناسَ واصحَبْ وَحْشَ بَيداءَ قَفرةٍ ... فإنَّ رِضاهُم غايَةٌ ليس تُدرَكُ
إذا ذكروا المخلوقَ عابوا وأطنَبوا ... وإن ذكروا الخَلَّاق حابوا وأَشرَكوا
كَلِفْتَ بِدُنياكَ الَّتي هي خُدعَةٌ ... وهلْ خُلَّةٌ منها أغَرُّ وأفرَكُ
إذا فاتَكَ الإثراءُ من غيرِ وَجهِهِ ... فإنَّ قليلَ الخَلِّ خيرٌ[٢] وأَبرَكُ

وقال: [من الطويل أيضاً]

تسمَّى رجالٌ بالملوكِ سفاهةً ... ولا مُلْكَ إلَّا للَّذي خلقَ المُلْكا
أرى فلكاً ما دارَ إلَّا لحكمةٍ ... فلا تنسَ مَنْ أجرى لحاجَتِكَ الفُلْكا

وقال: [من البسيط]

في الوحدةِ الراحةُ العظمى فأحيِ بها ... قلباً وفي الكونِ بين الناس أثقالُ
إنَّ الطبائعَ لمَّا أُلِّفَتْ جَلَبَتْ ... شرًّا تولَّدَ منه القيلُ والقالُ[٣]

وقال: [من السريع]

كم تنصحُ الدنيا ولا نقبَلُ ... وفائزٌ مَنْ جَدُّهُ مُقبِلُ
إنَّ أذاها مثلُ أفعالِنا ... ماضٍ وفي الحالِ ومُستقبَلُ
أجبَلَتِ الأبحرُ في عصرِنا ... هذا كما أبحَرَتِ الأجبُلُ
فاتْرُكْ لأهلِ المُلكِ لذَّاتِهمْ ... فحسبُنا الكمأةُ والأحبُلُ[٤]
ونشربُ الماءَ براحتِنا ... إنْ لم يكُنْ في بيننا جُنْبُلُ[٥]
لا تأمنُ الأغفارُ في النِّيقِ أنْ ... تُصبِحَ موصولاً بها الأحبُلُ[٦]
لو نطقَ الدَّهرُ هجا أهلَهُ ... كأنَّه الرُّوميُّ أو دِعْبِلُ[٧]

---

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١١٥٥ : دع، والأبيات فيه.
(٢) في اللزوم: أولى.
(٣) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٢٣ .
(٤) الأحبُل: نبات اللوبياء.
(٥) الجُنْبُل: القدح الضخم من الخشب.
(٦) الأغفار؛ جمع غُفْر: الذكر من أولاد تيوس الجبل. والنِّيق: أرفع موضع في الجبل.
(٧) الرومي: هو الشاعر العباسي علي بن العباس المعروف بابن الرومي. ودِعبِل: هو ابن علي الخزاعي، وهو معاصرٌ لابن الرومي.

وَهْـو لَـعـمـري شـاعـرٌ مُـفْـلِـقٌ[١] بـالـفـعـلِ لـكـنْ لـفـظُـهُ مـجـبِـلُ[٢]
يـذبُـلُ غـصـنُ الـعـيـشِ حـقًّـا ولَـوْ أضـحـى ومِـنْ أوراقِـهِ يـذبُـلُ
فـلـيـتَ حـوَّاءَ عـقـيـمـاً غَـدَتْ لا تـلِـدُ الـنـاسَ ولا تـحـبَـلُ
تـفـكَّـروا بـالـلـهِ واسـتـيـقـظـوا فـإنَّـهـا داهـيـةٌ ضِـئْـبِـلُ[٣]
فـي حـبَّـةٍ تُـخـلَـقُ مـن سُـنـبُـلٍ[٤] ثَـمَّـتَ مـنـهـا يُـخـلَـقُ الـسـنـبُـلُ
يـكـرَهُ عـولَ الـشـيـخِ أبـنـاؤه وهَـلْ تَـعـولُ الأُسُـدَ الأشـبُـلُ
نـنـزل مـن دارٍ لـنـا رحـبـةٍ تُـطَـلُّ بـالآفـاتِ أو تُـوبَـلُ[٥]
وكـلُّ مَـنْ حَـلَّ بـهـا يـكـره الـ ـنـقـلـةَ عـنـهـا وهـي تـسْـتَـوبِـلُ

وقال: [من الطويل]

أَسَكْنُ الثَّرى هل تبعثون رسالةً إلينا ولستُمْ سامعي كلمِ الرُّسْلِ
ولم تَسْلُ نفسي عنكمُ باختيارِها ولكنَّ طولَ الدهرِ يُذهِلُ أو يُسلي
وما بردَتْ أعضاءُ مَيْتٍ مُكَرَّمٍ وإنْ عَزَّ حتى أُغليَ الماءُ للغَسْلِ[٦]

وقال: [من الوافر]

إذا ما شئتَ موعظةً فعرِّجْ بيثربَ سائلاً عن آل قيلهْ
وقِفْ بالحيرةِ البيضاءِ وانظُرْ منازلَ منذرٍ وبني بقيلهْ[٧]

وقال: [من السريع]

لو تعلَمُ النَّحلُ بمُشْتارها[٨] لم ترَها في جبلٍ تعسِلُ

---

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٤٠ : مُغْزِرٌ. والشاعر المُفلِق: هو الذي يأتي بالشعر الذي يُعجب الناس.
(٢) المُجْبِل: هو الذي حفر ليجد ماءً فانتهى إلى الصخر.
(٣) الضِّئبِل: الداهية.
(٤) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٤١ : في سنبل يخلق من حبةٍ، والأبيات فيه.
(٥) الطَّلّ: المطر الخفيف. والوابل: المطر الغزير.
(٦) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٨٥ .
(٧) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٦٨ .
(٨) المُشتار: الذي يجني العسل.

والخيرُ محبوبٌ ولكنَّهُ ... يعجزُ عنه الفَسْلُ[1] أو يكسَلُ
والأرضُ للطُّوفانِ مشتاقةٌ ... لعلَّها من دَرَنٍ تُغْسَلُ
قد كثُرَ الشرُّ على ظهرها ... وأُتْهِمَ المُرْسِلُ والمُرْسَلُ

وقال: [من الكامل]

كم توعظون[2] ولا تلينُ قلوبكُمْ ... فتباركَ الخلَّاقُ ما أغناكُمُ
إنَّ الغوايةَ كالغريزة فيكُمُ ... يأوي إليها كهلُكُمْ وفتاكُمُ

وقال: [من الوافر]

دموعي لا تُجيب على الرَّزايا ... ولولا ذاكَ ما فَتِئَتْ سُجوما[3]
رِضًا بقضاءِ ربِّكَ فَهْوَ حَتْمٌ ... ولا تُظِهرْ لحادثةٍ وُجوما[4]

وقال: [من الطويل]

ومولِدُ هذي الشمسِ أعياكَ حَدُّهُ ... وخَبَّرَ لُبٌّ أنَّهُ مُتقادِمُ
وما آدَمٌ في مذهبِ العقلِ واحداً ... ولكنَّهُ عندَ القياسِ أوادِمُ
تخالفَتِ الأغراضُ ناسٍ وذاكرٌ ... وساقٍ وسبَّاقٌ وبانٍ وهادِمُ[5]

وقال: [من الوافر]

وما دنياكَ إلَّا دارُ سَوْءٍ ... ولستَ على إساءتِها مُقيما
أرى ولد الغنى عِبْئاً عليهِ ... لقد سَعِدَ الذي أمسى عقيما
أما شاهدتَ كلَّ أبي وليدٍ ... يؤمُّ طريقَ حتفٍ مستقيما
فإمَّا أن يُرَبِّيهِ عدوّاً ... وإمَّا أن يُخَلِّفَهُ يتيما[6]

وقال: [من الخفيف]

---

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٤٢ : الحيُّ، والأبيات فيه. والفَسْل: الذي لا مُروءة له ولا جَلَد.
(٢) في (ف): تعظون.
(٣) سجوماً: منهمرة.
(٤) الوُجوم: الكآبة.
(٥) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٣٨٨ .
(٦) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٤٤٥ .

كلُّ ذِكْرٍ من بعدِه نسيانُ ... وتَغيبُ الآثارُ والأعيانُ
إنَّما هذهِ الحياةُ متاعٌ ... فلتُخَبِّرْكَ عن أذاها العِيانُ
نَفَسٌ بعدَ مِثْلِهِ يتقضَّى ... فتمرُّ الدُّهورُ والأحيانُ
قد ترامَتْ إلى الفسادِ البرايا ... واستوَتْ في الضلالة الأديانُ[1]
أنا أعمى فكيفَ أُهدي إلى المَنْـ ... ـهجِ والناسُ كُلُّهم عُميانُ
والعصا للضريرِ خيرٌ من القا ... ئدِ فيه الفُجورُ والعِصيانُ
ليس في هذه المجرَّةِ ماءٌ ... فيُرَجِّي وُرودَه الصَّدْيانُ[2]

وقال: [من الخفيف أيضاً]

المُجبرون يناظرونَ بباطلٍ ... فاسمَعْ مقالَهُم بغيرِ بيانِ
كلٌّ يقولُ أرى الإلهَ أضلَّني ... وأرادني ما كانَ عنه نهاني
إنْ صَحَّ ذا فتعوَّذوا من ربكم ... ودَعوا تعَوُّذَكُمْ من الشيطانِ

وقال: [من الطويل]

أرى الحِيرةَ البيضاءَ حارَتْ قُصورُها ... خَلاءً ولم تثبُتْ لكسرى المدائِنُ
وهَجَّنَ[3] لَذَّاتِ الملوكِ زوالُها ... كما غدَرَتْ بالمُنذِرَينِ[4] الهجائِنُ[5]
ركِبْنا على الأعمارِ والدَّهرُ لُجَّةٌ ... فما صَبَرَتْ للموجِ تِلكَ السَّفائِنُ
تجيءُ الرَّزايا بالمنايا كأنَّما ... نفوسُ البرايا للحِمام رهائِنُ
لَعمري لقدْ خادعتُ نفسيَ بُرهَةً ... وصدَّقْتُ في أشياءَ مَنْ هو خائِنُ[6]
وخانَتْنيَ الدُّنيا مراراً وإنَّما ... يُجَهَّزُ بالذَّمِّ الغواني الخوائِنُ
أُعلِّلُ بالآمالِ قلباً مُضَلَّلاً ... كأنِّيَ لم أشعُرْ بأنِّيَ خائِنُ
يصونُ الكريمُ العِرْضَ بالمالِ جاهداً ... وذو اللؤمِ للأموالِ بالعرضِ صائِنُ

---

(١) تحرفت في (ف) إلى: الإتيان.
(٢) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٤٦، والصَّدْيان: شديد العطش.
(٣) في (خ): ويعجز، والمثبت من (ف)، ولزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٢٥، والأبيات فيه.
(٤) المنذِران هما: المنذر بن ماء السماء، وهو الأكبر، والثاني: ابنه المنذر بن المنذر، وهو الأصغر.
(٥) الهجائن: الإبل ذات البياض الخالص.
(٦) في اللزوم: مائن، والمائن: الكاذب.

وقال: [من الطويل]

لعمرُكَ ما الدُّنيا بدارِ إقامةٍ ... ولا الحيُّ في حالِ السلامةِ آمِنُ
وإنَّ ولِيداً حَلَّها لَمُعذَّبٌ ... جَرَتْ لِسواهُ بالسعودِ أيامِنُ
عجبتُ لكهلٍ قاعدٍ بينَ نِسْوَةٍ ... يُقاتُ بما جَرَّتْ عليه الرَّوادِنُ[1]
تُحارِبُنا أيامُنا ولنا رضًا ... بذلك لو أنَّ المنايا تُهادِنُ
إذا كانَ جِسمي لِلرَّغام أكيلَةً ... فكيفَ يَسُرُّ النَّفسَ أنِّيَ بادِنُ
ومِنْ شَرِّ أخدانِ الفَتى أُمُّ زَنْبَقٍ ... وتِلكَ عَجوزٌ أهلَكَتْ مَنْ تُخادِنُ
تُخَبِّرُ عن أسرارِهِ قُرَناءَهُ ... ومِنْ دونِها قُفْلٌ مَنيعٌ وَسادِنُ[2]

وقال: [من الطويل]

أيا أنفُساً ما صومُها وصلاتُها ... بدينٍ لها بل تَرْكُها الظُّلمَ دينُها
يؤثِّرُ في حرِّ الجباه سجودُها ... ويشكو أذاها جارُها وخَدينُها

وقال: [من الطويل]

رأيتُ سوادَ الرأسِ يسلُبُ لونَهُ ... من الدَّهرِ بِيضٌ يختلِفْنَ وجُونُ[3]
فلا يغترِرْ بالمُلْكِ صاحبُ دولةٍ ... فكَمْ من مليكٍ غيَّبَتْهُ دُجونُ[4]
وإنِّي أرى أنصارَ إبليسَ جَمَّةً ... ولا مِثْلَ ما أوفى به الزَّرَجونُ[5]
وإنْ كانتِ الأرواحُ بعد فراقِها ... تنالُ رخاءً فالجسومُ شُجونُ[6]

وقال: [من الطويل]

كأنَّ نجومَ الليلِ زُرْقٌ أسِنَّةٌ ... بها كلُّ مَنْ فوقَ الترابِ طَعينُ

---

(١) الرَّوادن: النساء اللواتي يعملن بالمِرْدَن، يعني المِغْزَل.
(٢) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٢٨ .
(٣) البيض والجُون: الأيام والليالي.
(٤) الدُّجون: الغيوم.
(٥) الزَّرجون: الخمرة والمطر الصافي المستنقع في الصخرة، ومعناه بالفارسية لون الذهب. معجم الألفاظ الفارسية ص ٧٧ .
(٦) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٢٩ .

ولائحُ هذا الفجرِ سيفٌ مُجرَّدٌ أعانَ به صَرْفَ الزَّمانِ لَعينُ[1]

وقال: [من الطويل]

حياتيَ تعذيبٌ وموتيَ راحةٌ وكلُّ ابنِ أُنثى في التراب سجينُ
توهَّمتَ يا مغرورُ أنَّكَ دَيِّنٌ عليَّ يمينُ اللهِ مالكَ دِينُ
تسيرُ إلى البيتِ الحرامِ تنسُّكاً ويشكوكَ جارٌ بائسٌ وخَدينُ[2]

وقال: [من الخفيف]

بِئستِ الأُمُّ لِلأنامِ هِيَ الدُّنيا وبِئسَ البَنونَ لِلأُمِّ نَحنُ
فَسَدَ الأَمرُ كُلُّهُ فاتركوا الإعْـ ـرابَ إنَّ الفَصاحَةَ اليومَ لَحنُ[3]

وقال: [من البسيط]

لقدْ أتَوا بِحَديثٍ لا يُثَبِّتُهُ عَقلٌ فَقُلنا عنَ ايِّ النَّاسِ تَحكونَهْ
فَأخبَروا بِأَسانيدٍ لَهُم كَذِبٍ لم تَخْلُ مِن ذكر شَيخٍ لا يُزكُّونَهْ
عَجِبتُ لِلأُمِّ لَمَّا فاتَ واحِدُها بَكَتْ وَساعَدَها ناسٌ يُبَكُّونَهْ
هُمُ أَسارى مَنَاياهُم فَما لَهُمُ إذا أتاهُم أَسيرٌ لا يَفُكُّونَهْ
فَلَو تَكَلَّمَ دَهرٌ كانَ ساكِنهُمْ كَما تَراهُم على الإحسانِ يَشكونَهْ
أما تَرَونَ دِيارَ القَومِ خالِيَةً بَعدَ الجماعاتِ والأَجداثَ مَسكونَهْ
يصومُ ناسٌ عن الزَّادِ المباحِ لهُمْ ويغتذون بلحمٍ لا يُزكُّونَهْ[4]

وقال: [من الوافر]

إذا ما شئتُمُ دَعَةً وخفضاً فعيشوا في البريَّةِ خامِلينا
ولا يُعقَدْ لكم أملٌ لخلقٍ وبيتوا للمهيمنِ آمِلينا[5]

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٣٠ .
(٢) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٣١ ، والخدين: الصديق.
(٣) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٤٤ .
(٤) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٥٩_١٥٦٠ .
(٥) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٧١ .

إذا جاءكَ الموتُ فافرَحْ بِهِ لِتَخْلُصَ من عالم قد لُعِنْ
هُمُ ضربوا حيدراً ساجداً وحسبُكَ من عُمَرٍ إذْ طُعِنْ[1]

وقال: [من الطويل]

إذا ما ذكَرْنا آدماً وفِعالَهُ وتزويجَ إبْنيهِ لبنتَيهِ في الدُّنا[2]
علِمْنا بأنَّ الخلق من أصل زِنْيةٍ وأنَّ جميعَ الناسِ من عنصرِ الزِّنا

فأجابه القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عُقامة من اليمن ـ وكان فاضلاً ـ فقال:

لَعمرُكَ أمَّا فيكَ فالقولُ صادقٌ وتكذِبُ في الباقينَ مَنْ شَطَّ أو دنا
كذلِكَ إقرارُ الفتى لازمٌ لَهُ وفي غيرِهِ لغوٌ كذا جاءَ شَرْعُنا

وقال أبو العلاء: [من الوافر]

[عليك السابغاتِ فإنَّهُنَّهْ يُدافِعْنَ الصَّوارِمَ والأسِنَّهْ[3]]
ومَنْ شَهِدَ الوغى وعليه درعٌ يُلَقَّاها بنفسٍ مُطمئِنَّهْ
وحبَّاتُ القلوبِ يَكُنَّ حَبّاً إذا دارَتْ رحاها المُرْجَحِنَّهْ
على أنَّ الحوادثَ كائناتٌ وما تُغني الدروعُ ولا الأكِنَّهْ

وقال: [من المنسرح]

تَسَوَّقوا بالغِنى لِرَبِّهِمُ وأظهَروا خِيفَةً لَهُ وَدَعَوا
سعَوا لِدُنياهُم بِآخِرَةٍ فَبِئسَ ما حاوَلوا غَداةَ سَعوا
ولَمْ يَعوا ما يَقولُ واعِظُهُم لَكِنَّ قَولَ المُخَرِّصينَ وَعَوا[4]

وقال: [من السريع]

بِخِيفَةِ اللهِ تَعَبَّدْتَنا وأنتَ عَينُ الظَّالِمِ اللَّاهي
تأمُرُنا بِالزُّهدِ في هَذِهِ الدُّ نيا وما هَمُّكَ إلّا هي[5]

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٦٥٠ .
(٢) هكذا في النسخ، وفي معظم المصادر: الحَنا .
(٣) هذا البيت من (ف).
(٤) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٧١٠ .
(٥) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٧٠٣ .

وقال: [من مخلع البسيط]

يا أمةً ما لها عقولٌ ... وقُبْحُ ألبابِها[1] دهاها
بأيِّ جُرْمٍ وأيِّ حُكْمٍ ... سُلِّطَ ليثٌ على مهاها
[فحدّثوني بغيرِ مَيْنٍ ... عن الثُّريا وعن سُهاها][2]
وعُذِّرَتْ حاجَةٌ بِعُسرٍ ... على لبيبٍ قَدِ اشتَهاها
وظالِمٌ عِندَهُ كُنوزٌ ... من أُمِّ دَفرٍ ومِن لُهاها[3]
كانَ إذا ما دجى ظَلامٌ ... صاحَ بِأَجمالِهِ وَهاها[4]

وقال: [من الوافر]

وجدتُ غنائِمَ الإسلام نَهباً ... لأربابِ المعازِفِ والملاهي
تُنازعُني إلى الشَّهواتِ نفسي ... فلا أنا مُنجِحٌ أبَداً وَلا هي
وكيف يصِحُّ إجماعُ البَرايا ... وَهُمْ لا يجمِعونَ على الإلهِ[5]

وقال: [من الخفيف]

لا تُهادِ القضاةَ كي تظلمَ الخَصْـ ... ـم ولا تَذْكُرَنَّ ما تُهديهِ
[إنَّ من أقبحِ المعايب عاراً ... أن يَمُنَّ الفتى بما يُسديهِ][6]

وقال: [من السريع]

نُمسي ونُصبِحُ في ضلالاتنا[7] ... وما على الغبراء إلَّا سفيهْ
فنسألُ الواحدَ[8] إنقاذنا ... من عالم السوءِ الذي نحنُ فيه

وقال: [من البسيط]

---

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٦٨٦ : وفقد ألهابها، وفي (خ): وفتح أبوابها، والمثبت من (ف).
(٢) هذا البيت من (ف).
(٣) اللُّهى: العطايا.
(٤) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٦٨٦ ، ووهاها: زجرها.
(٥) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٧٠١ .
(٦) هذا البيت من (ف)، والبيتان في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٧٠٤ .
(٧) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٧٠٤ : نُضحي ونُمسي كبني آدم.
(٨) في اللزوم: العالم.

لو كان جسمك متروكاً بهيئتِهِ ... بعد التَّلافِ طمِعْنا في تلافيهِ
كالدَّنِّ عُطِّلَ من راحٍ تكونُ بهِ ... ولم يُحطَّمْ فعادَتْ مرَّةً فيهِ
لكنَّهُ صارَ أجزاءً مُقسَّمةً ... ثم استمرَّ هباءً في سوافيهِ[1]
وذاكَ في هذه الدنيا ويبعثُهُ ... يومَ القيامةِ مُخفيهِ وخافيهِ

[وفيها توفِّي]

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد[2]

أبو عثمان، الصابوني، النيسابوري، الحافظ، الواعظ، المفسِّر، طاف الدنيا في طلب الحديث، وسمع بهَرَاة وخراسان ونيسابور وما وراء النهر والعراق والشام والحجاز [واليمن] والهند وطبرستان وغزنة وغيرها، ووعظ بنيسابور وله سبع سنين، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة، [وله الكلام المليح. قال: وقدم الشام حاجّاً في سنة اثنين وثلاثين وأربع مئة، وحدَّث بدمشق ووعظ بها]، ومن شعره: [من الطويل]

إذا لم أُصِبْ [أموالَكُمْ][3] ونوالَكُمْ ... ولم آمُلِ المعروفَ منكُمْ ولا البِرَّا
وكنتُمْ عبيداً للذي أنا عبدُهُ ... فمِنْ أجلِ ماذا أُتْعِبُ البدَنَ الحُرَّا

وقال أيضاً: [من البسيط]

مالي أرى الدَّهرَ لا يسخو بذي كَرَمٍ ... ولا يجودُ بمعوانٍ ومِفْضالِ
ولا أرى أحداً في الناس مشترياً ... حسنَ الثناءِ بإنعامٍ وإفضالِ
صاروا سواسيةً في لومِهِمْ شرعاً ... كأنَّما نسجوا فيه بمنوالِ

ذكر سبب وفاته:

[حكى أبو الحسين الفاسي قال]: وقع وباء عظيم بنيسابور، فصعد المنبر، واجتمع الناس، ودعا، فورد كتاب من بخارى يذكر فيه أن رجلاً تقدَّم إلى خباز يشتري منه خبزاً، فدفع إليه درهماً والخباز يخبز، فمات الخبازُ، وصاحبُ الدكان والمشتري في ساعة واحدة، فلمَّا قرأ الكتاب هاله ذلك، ثم أمر القارىء فقرأ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٦٩٧ دون البيت الأخير، والسَّوافي: الرياح تسفي الغبار.
(٢) تاريخ بغداد ٨/ ١٠٨، وتاريخ دمشق ٩/ ٥، والمنتظم ١٦/ ٢٧-٢٨.
(٣) ما بين حاصرتين من (ف) وتاريخ دمشق ٩/ ٥.

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ [النحل: ٤٥] ثم بالغ في الوعظ والتخويف، وتغيَّر في الحال، وأُنزل من المنبر وهو يصيح من وجع بطنه، وحُمِلَ إلى الحمام ثم إلى بيته فأقام سبعة أيام ومات، وصلَّى عليه خلق عظيم، وقيل: مات سنة خمسين وأربع مئة، وقيل: إنه تكلم على المنبر، فغرق في علم المشاهدة، وغلب فوقع، فأقام سبعة أيام لا يفيق، وتوفي فلم يبْقَ بنيسابور بِكْرٌ ولا عانس إلا وحضَرْنَ جنازته، وكان يوماً مشهوداً في المُحرَّم.

حدَّث عن الحاكم أبي عبد الله وغيرِه، وروى عنه الخطيب وغيرُه، وكان يحضر مجالسه الأئمة، وجلس مكان أبيه وكان عمره سبع سنين، وكان أبوه عبد الرحمن من كبار العلماء الزُّهَّاد، وكان يعظ بنيسابور، ففتكوا به؛ لأجل التعصُّب في المذهب، فجلس أبو عثمان مكانَه، واتَّفقوا على فضله وزهده وورعه وصدقه وثقته.

الحسين بن أحمد[1]

ابن القاسم بن علي بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طَباطَبا بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، النسَّابة، وُلِدَ في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، وتوفي في صفر، وكان مميزاً من بين أهله بعلم النسب ومعرفة أيام الناس.

سعد بن أبي الفرج[2]

محمد بن جعفر، أبو الغنائم، علاء الدين بن فسانْجِس، وزَر للملك أبي نصر بن أبي كاليجار، ونظر بواسط أول قدوم طُغْرُلْبَك إلى بغداد، ثم عصى وخطب للمصريين بواسط، وقد ذكرنا مقتله وكان يوم قُتِلَ ابنَ سبع وثلاثين سنة.

عدنان بن الشريف[2]

الرضي، الموسوي، ولي نقابة الطالبيين بعد عمه المرتضى، وكان فاضلاً، وتوفي في رجب، روى عن أبيه وعمه.

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٠٨ ، ـ وفيه: الحسين بن محمد ـ والمنتظم ١٦/ ٢٧ـ٢٨ .

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٨ .

علي بن هندي[1]

أبو الحسن، قاضي حمص، ولد سنة أربع مئة، وكان فاضلاً [نزهاً عفيفاً فصيحاً]، وتوفي بدمشق ودفن بالباب الصغير، ومن شعره: [من البسيط]

تَخلُّقٌ حسنٌ إنْ لم يكُنْ خُلُقٌ تورُّعٌ حسنٌ إنْ لم يكُنْ وَرَعُ
فما أرى قيمة الدنيا وإن عظُمَتْ أنْ تأتيَ الحرَّ ما من نفسِه يضَعُ

السنة الخمسون والأربع مئة

فيها استولى البساسيري على بغداد، وأخرج منها القائم بأمر الله، ودرس آثارها [والمعالم]، وجرى على الخليفة وداره وأهله منه ما لم يَجْرِ من الكفار، ثم إن الله تعالى أخذ [له] منه بالثأر [وكان مآلُه إلى الاستئصال والبوار]، وردَّ [اللهُ] الخليفةَ إلى مقرِّه، وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفي المحرَّم صرف أبو علوان ثِمالَ بن صالح بن الزَّوقلية أمير حلب منها، وأقطعه عكَّا وقيسارية وصيدا والبلاد الساحلية عوضاً عنها، وولَّاها صاحبُ مصر لأبي علم بن ملهم الخويلدي، وخرج صحبتَه القاضي ابن أبي عقيل قاضي صور حتى تسلَّم ابنُ ملهم حلبَ، وعاد القاضي إلى صور، وكان بقلعة حلب أبو نصر بن أبي عمران الداعي، فرتباه بحلب، وعاد الداعي إلى مصر، وفي المحرَّم بعث السلطان بِتارْتِكِين إلى الخادم الخاص ومعه فَرَجيَّة ديباج مطمومةٌ بالذهب، وعمامةٌ مكبة مذهبة، وفرس بمركب ذهب إلى أخيه إبراهيم ينَّال، وأحبَّ أن يزُفَّه بملابس الخليفة، وكان إبراهيم بالموصل، وأمره السلطان بالمسير إليه عاجلاً.

وفي صفر ورد الخبرُ بأن البساسيري أقطعَ الرحبة لخاصَّته، وارتفاعها ثمانون ألف دينار، ووعد بإنفاذ ستين ألف دينار من مصر في كلِّ سنة، مضافةً إلى ذلك تنصرف في إقامة العسكر البغداديين الذين معه، وكتب إليه من مصر أن لا يعبر الفرات، ولا يتعرَّض لأعمال العراق إلى أن يرى صاحب مصر رأيه في المسالمة أو المنافرة.

---

(١) تاريخ دمشق ٤١/ ٤٢٦ـ٤٣٣ .